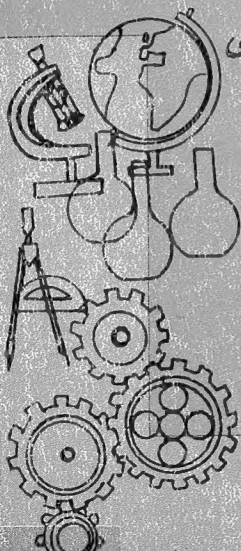


# سِرُّ النهوض والنقْدَم

(لماذا لا يُبَدِّع المصريون ؟)

محمد فتحي



Bibliotheca Alexandrina

0097896



رئيس مجلس الإدارة:

الدكتور سمير سرحان

رئيس التحرير:

المهندس / سعد شعبان

مدير التحرير:

محمود الجزار



# سِرّ النهوض والنقد

## (لماذا لا يُبدع المصريون؟)

محمد فتحي

مكتبة العامة لألكندرية	
رقم التصنيف	.....
تسجيل	٣٦٢٧٤



فرع الصحافة

١٩٩٩

General Organization of Alexandria Library (GOAL)

Alexandria

الإشراف الفني :

---

محمود الجزار

## مقدمة

فيما يشبه الوصية أو التحذير كان بين آخر ما خطه  
يراع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين عجالة بعنوان « فوزة  
التاريخ » (١) .. وكانت فوزة بهاء : « منذ صارت القراءة  
أحد هيموى ، وأنا أسأل هذا السؤال : ما الذى يجعل شعبا  
ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعبا ما يكون متقدما  
وناهضا يضمحل ويتقهقر ؟ .. » .

وكان بين ما جاء فى عجالة بهاء الدين : « من حق الكاتب أن  
يطرق باله سؤال ما ، ويحار معه ولا يجد له ردا وتفسيرا ..  
فيطرح هذا السؤال على القارئ حتى اذا كان لا يفعل الا أنه  
مشاركه فى حيرته فهذا أمر مفيد ، يشحذ الأفكار ، وقد يغنى  
لنجدته كاتب أو مفكر آخر .. » .

هكذا لم يكن الأمر مجرد سؤال من الكاتب الكبير ..

---

(١) مجلة الهلال - يناير ١٩٨٩ .

بل حشا بالغ الذكاء على الحوار حول السؤال - الأهم في وجودنا - عن سر النهوض والتقدم ، الذي آثر أن يسجله ، فيما يشبه الوصية ، لأجيالنا الطالعة .

كنت مهموما بسؤال الأستاذ بهاء ، وكنت قد قضيت سنوات طوال في البحث عن اجابة له ، فحاولت أن أقدم هذه الاجابة في عدد من المناظر الفكرية (٢) . وكانت الحصلة هذا الكتاب .

وكان حل فزورة بهاء أو « سر النهوض والتقدم » اذا لخصته في كلمتين : « الابداع الجماعي » ، واذا لخصته في جملة : « تقدير المعرفة وتنميتها وتوظيفها فيأحث العمل الجماعي المبتدع في جو من الثقة » .. أما اذا كنت مشغولا بكيف ؟ ولماذا ؟ و .. فصفحات الكتاب بين يديك .

تبقى مجموعة من الاشارات :

— الاشارة الأولى : الى أن الكتاب طرح منظومي لعناصر اشاعة المعرفة وحث الابداع ، أي حرث الأرض حتى يصبح بالامكان أن تستقبل الثبت الجديد . وتقيم « عوده » بحيث يكون قادرا على النهوض والازدهار .

— الاشارة الثانية : أن أحدا لايمكن أن يشك في ضرورة

---

(٢) اعتبارا من فبراير ١٩٨٦ في مجلات الهلال وابداع والمصور و ...



النهوض والتقدم ، لكن هناك ظروفًا إضافية تجعل هذه القضية قضية حياة أو موت بالنسبة للعربي .

فالتابع لما يجري في عالمنا : عالم الكمبيوتر والملي ميديا وشبكة انترنت وغيرها من وسائل العولمة ، خلال السنوات الأخيرة ، والوقائع التي يجري بها ، يدرك مدى العزلة التي تتهدد العربي فيما يخص النهل من التراث الانساني والتواصل مع الابداع العالمي في كافة المجالات ، حتى أنه بات على وشك العيش في حصار يقطع صلته بمعارف العالم حوله . وهذه مشكلة كلية الأبعاد ، للتلازم بين الثروة الحقيقية للمجتمع والثروة البشرية ، ولأن مستوى الطاقات البشرية ( أساس فرص العمل والانتاج والتصدير و ... ) هي أهم ما يحدد مستقبل الأمة .

— الاشارة الثالثة : أنه من حسن الحظ أن هناك طرقًا لتجاوز الحصار المعرفي الحضاري الذي يهدد مواطننا ، وحل مشكلة من الدرجة الأولى من مشاكل الأمن القومي فيما يخص مستقبل الأمة ومصيرها ، دون أعباء تخرج عن قدراتنا . شريطة أن يدرك المجتمع امكانياته وطبيعة العالم الذي يعيش فيه ، والوسائل التي لا يمكن الاستغناء عنها في هذا الصدد .

— الاشارة الرابعة : أن القضية في هذه الدراسة ليست فقط

كيف تساعد على صنع الانسان العصرى المبدع ، بل كيف تساعد على خلق العقل الناضج المتفتح القادر على رؤية ما لا يعتقد فيه ، وعلى الحوار والتطور واستيعاب ما يحيط به من حقائق ، وذلك بدلا مما يرسخ من صنع المتعصبين ذوي الأفق المحدود الذين يخاصمون روح التغير والابداع .

ان على أى عقل حى استيعاب المستجدات الجارية فى ظروف العصر والا كان عقلا مشلولا يتحرك بمجرد القصور الذاتى . وعلينا أن نستيقظ من هجمة الخمول وتجاوز التثاؤب وتزجية الوقت المهدر فى سجالات الخيار المحاصرة بـماضينا وماضى الآخرين . ولأن ثمن العنة الابداعية هو وجود الانسان العربى ذاته .

## سر النهوض والتقدم

تحت عنوان « فزورة التاريخ » طرح الأستاذ أحمد بهاء الدين سؤالاً محورياً فيما يخص المستقبل :

« ما الذى يجعل شعباً ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعباً ما ، يكون فاهضاً ومتقدماً ، يضمحل ويتقهقر ؟ »

ورغم أن هذا السؤال هو أعقد أسئلة « فلسفة التاريخ » كما يرى الأستاذ بهاء .. فإن الحاح وأهميته يبرران عدم اغفال طريق من الطرق ، التى يمكن أن تؤدى حتى الى طرف من اجابته .. وربما كانت قراءة تجارب الآخرين — بالذات ان كانت قد حظيت بدرس وافر — أحد أسير السبل فى محاولة الاجابة .

واستأذن فى اختيار تجربة الانطلاق اليابانية كدليل فى هذا الصدد . وان كان الأقرب الى واقع الحال ، حتى فى بيوتنا ألا يسأل القارئ : ولماذا اليابان ؟ فالواجب أن يكون المرء محدداً فى توجهه الى أقصى حد .



الناثب أن اليابان لم تكن فى بداية القرن الا دولة من  
الفلاحين والصيادين ، وأنها بدأت مسيرتها نحو التقدم من واقع  
العزلة والتخلف ، وأنها قد تحولت الى ما يشبه الانقاص ،  
عشية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ •

والناثب أيضا أن اليابان صارت اليوم صاحبة ثانى أقوى  
اقتصاد فى العالم الرأسمالى ، بل انها توشك على تجاوز  
الولايات المتحدة ، من حيث الناتج القومى بالنسبة للفرد •

لقد كان الانتاج الصناعى لليابان عام ١٩٥٢ ( عام انتهاء  
الاحتلال ) يناهز ثلث انتاج بريطانيا أو فرنسا ، ولم يحل عام  
١٩٧٠ حتى كان قد تجاوز مجموع انتاج البلدين معا • ذلك  
بينما قفزت انتاجية العامل اليابانى الى خمسة أضعاف مثله  
الانجليزى ووصل أجره - اليابانى - الى ضعف أجر العامل  
الانجليزى •

وما يلفت النظر أن اليابانيين حققوا قفزة التحديث بأقل  
قدر من الصدام مع تقاليدهم •• أو على أقل تقدير دون أن  
يصل الأمر الى حد وقوف تراثهم حجر عثرة فى مسيل التقدم •  
كما انهم حققوا ما حققوه وثلاثة أرباعهم يعيشون على  
شريط ضيق خائق ، يمتد بين طوكيو وهيروشيما ، على المحيط  
الهادى •

هذا كما أن الانجاز اليابانى الفذ قد تحقق فى بلد لا يعيش ظروفا طبيعية سهلة ، اذ اعتادت الزلازل والأعاصير على ضرب أراضيه من كل جانب ، ناهيك عن افتقاره للمواد ذات القيمة الاستراتيجية ، حتى امتد اعتماده على الخارج الى الخامات الأساسية ( يستورد حوالى ٩٠٪ من خاماته ) ناهيك عن قوت يومه .

وقبل الانتقال من هذه النقطة ينبغى التأكيد على أن التجربة اليابانية ليست بالمعجزة بـ كما جرت العادة فى وصفها — لأنها من صنع بشر ، ولأن شروطها تتكرر فى عدد من التجارب الأخرى ( والمعجزات لا تتكرر ) .. هذا كما أن التجربة اليابانية عامرة بالمثالب والنواقص ، كغيرها من التجارب الانسانية .. ومثالبها تتراوح بين مظاهر مثل معاناة النظام الاقتصادى من انقسام أو ثنائية تمثل فى عمل ٣٠٪ من اليابانيين فى المجالات المعتمدة على التقنيات المتقدمة ، صاحبة الانتاجية البالغة الارتفاع ، بينما يعمل ٧٠٪ منهم فى مجالات عمل صغيرة ، أقل كفاءة بما لا يقاس .. ومثل موجة الافلاس المتزايدة التى يروح ضحيتها ما يقرب من ٢٠ ألف خلية انتاجية سنويا .. وبين مظاهر من لون آخر مثل اتهام شبه ثابت لواحد من أهم رؤساء وزرائها بالرشوة ( قضية حصول تاناكا على مليونى دولار من شركة لوكهيد للتوصية بشراء طائراتها ) ومثل زحام المناقصات

والخزعات في الشارع الياباني ، وبقاء معدلات الاتحار على ارتفاعها ، وطبيعة الشرائح التي تقدم عليه .

ان هذه العوامل مجتمعة تجعل الانجاز الياباني ، وبعيدا عن الطوباوية ، انجازا فذا بكل المقاييس ، الأمر الذي يزيد من قيمة الشروط التي تقف وراءه . فما هي أسرار هذا الانجاز يا ترى ؟

### أسرار الانجاز الياباني :

قد يكون صحيحا أن المعونات الأمريكية التي أهالت على اليابان خوفا من سقوطها في برائن الشيوعية قد لعبت دورا في نهضتها ، لكن الأكيد أنها لم تكن صاحبة الدور الحاسم أو الأساسي . فكم من دول حصلت على مثل ما حصلت عليه اليابان ، بل وعلى ما هو أكثر منه ، دون أن تصنع ما صنعت اليابان .

وقد يكون صحيحا أن غياب الأعباء العسكرية قد لعب دورا في نهضة اليابان ، لكنه لم يكن أيضا بالدور الحاسم إذ ان كثيرا من الدول تعفيها ظروفها من الاتفاق العسكري الضخم . ويرجع الكثيرون الانطلاقة اليابانية الى ما يسمونه بعقيدة التقليد أو الحنق في سرقة منجزات الغرب التكنولوجية وتقليدها .

ويرجع آخرون ( مثل أدوين ريشور سفير الولايات المتحدة في اليابان سابقا ) الأمر الى رغبة الياباني الجامعة في التعليم ، التي لا يتمتع بها أى انسان آخر ( !! ) .

ويرى آخرون ( مثل عالم الاجتماع الأمريكى عزرا فوجل في كتاب : اليابان رقم واحد دروس لأمريكا ) يرون أنه اذا كان للدارس تفسير النجاح الياباني بعامل واحد فلا بد أن يكون هذا العامل هو « السعى الجماعى الموجه لجمع المعرفة » .

ويركز آخرون ( مثل المفكر الياباني أهيرو كوساكي في : سقوط القنصاع الياباني ) على علاقة اليابانيين بالعمل ، تلك العلاقة التي دفعته الى التأكيد على أن الحياة خارج العمل كما يفهمها الغرب ليست موجودة لدى الياباني ، فليس عندهم خط فاصل يحدد أين ينتهى العمل وأين تبدأ الحياة » .

ويرى البعض ( مثل عالم الاجتماع الأمريكى جورج لودج ) أن اليابانيين استطاعوا المحافظة على القيم الجماعية « اذ تمكنوا من المحافظة على مفهوم تضامن الجماعة حتى في المدن الصناعية الجديدة ، بفضل وعيهم - مسبقا - بأهمية هذا التضامن وبأنه العنصر الذى يمكن أن يصون مصالحهم الفردية على المدى القريب والبعيد معا » .

إذا كان كل من العلماء السابقين ، وكلهم دارس جاد للتجربة اليابانية ، قد ركز على هذه السمة أو تلك من سمات المجتمع الياباني ، فإن النظر الى هذه السمات في تكاملها ، وفي تفاعلاتها الدينامية ، يمكن أن يضع يدنا على السبب الحقيقي للانجاز الياباني وهو في رأينا : وجود استراتيجية متكاملة للاستفادة ، الى أقصى حد ممكن ، من طاقات الانسان الياباني ، في أعمار مجتمعه ، من خلال العمل الجماعي المبدع . واتاحة ما يتطلبه ذلك من معارف ، مع استيعاب كل ما يؤدي اليه من تطور .. وذلك كله في إطار حليم قومي ناهض ، ومنظومة مناسبة من القيم .

وفهم معنى العمل المبدع ، بعيداً عن التصورات الرومانسية والترجيحية ، على انه « إضافة الى أفكار الآخرين وتطويرها » يضعنا بخطوة واحدة على الطريق الذي يبدأ برفض ما يراه البعض من أن التجربة اليابانية نقلاً أو تقليداً أو سرقة ذكية .

### توكيف للعرفة :

ولأن هذه التجربة عمل يستند الى استراتيجية متكاملة للاستفادة من الجهد الابداعي للانسان الياباني ، كان لا بد لها من مراحل متداخلة اولها تحصيل ملء هو موجود من معارف بشرية ، وهذا ما جعل المعارف والمعلومات تشكل محورا



أساسيا من محاور التجربة • فنذ فترة حكم الامبراطور مييجى ( المستير ) حول عام ١٨٦٨ قرر قادة اليابان ، من القوميين الذين أرادوا تجنيب الأمة التصدع أمام تيار المؤثرات الغربية ، قرروا فتح الباب واسعا أمام الاستفادة من دروس البيض ووسائلهم ، بل واقتناص أسلحتهم ذاتها •

وإذا كان الثابت أن كمية المعارف والمعلومات التى سجلت باليابانية فى العصر الحديث تزيد كثيرا عما تم تسجيله بأى لغة أخرى فإن معظم ما يدرج تحت هذا البند يحتوى أساسا على مناقشات تحليلية للمعلومات ، وعلى أفكار تستوعب تلك المعلومات وتستند إليها •• ووفق منطق العمل الابداعى الذى لابد أن يعتمد على آخر المعارف ، شاعت حركة واسعة النطاق تسمى الى تعويد كل مواطن على أن يبدى رأيه فى المعلومات المتصلة بمجال تخصصه ، والى أن يضيف إليها بعد استيعابها ( فوجل ) •

وإذا كانت أساليب جمع المعلومات وتحصيل المعارف ليست موضوعنا هنا ، فانه من الضرورى التأكيد على أن عملية اكتساب المعرفة فى اليابان عملية شاملة ومستمرة ، تبدأ بالتعليم الإلزامى فى المدارس التى تشرف عليها الدولة ، ويجرى فى تكافؤ تام للفرص يسقط الحواجز الاجتماعية ويتيح امكانية

التقدم أمام الجميع ، مما يؤدي الى الاستفادة من أفضل العناصر البشرية دون تمييز .. ويستمر هذا التكافؤ في القوس حتى المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هي الأخرى دون حواجز اجتماعية .

والمهم أن تحصيل المعارف لا يقف عند نهاية سلم المؤسسات التعليمية ، إذ أن هناك أشكالا للتعليم ، فيما بعد المعاهد العليا - في المؤسسات الانتاجية مثلا - لها علاقة وثيقة بجمع المعرفة والخبرة بصورة جماعية ، ثم توظيفها لخدمة الانتاج والتطوير الشامل للمجتمع .

والى جوار تأثير ذلك كله في تربية استعدادات الياباني على تقبل التغير وتبنى نقاط قوة الآخرين فإنه يساعد على امتصاص النسيج الاجتماعى الياباني عناصر جديدة دوما ، جعلت اليابانيين أكثر قدرة على التواءم مع العصر ، ومسايرة « لغاته » وهضمها وتمثلها ، فى سلوك عملى يتكيف مع الواقع الياباني ويطوره بإضافات ابداعية .

وهكذا فان اهتمام اليابانيين بالمعرفة ليس اهتماما عشوائيا ، وانما هو اهتمام تابع من الحاجة الاجتماعية ، ويرتبط بالعمل الانمائى ، وبمجموع المعنيين لا بأفرادهم .

واعتمادا على معرفة من هذا النوع يجيء العمل الذى لا يعرف الكلل ، والذى لا ينفصل فى تصور اليابانى عن الحياة ( كواساكى ) ، وبنظام وانضباط مدهشين ، ندعمه بنية عمل وانتاج متماسكة ، تتميز بروح اجتماعية تشيع علاقات التماسك والتكافل بين المشاركين فيها ، وذلك الى جوار الولاء والانتماء لمجتمعهم الصغير ومجتمعهم الكبير على حد سواء ( فوجل ) •

وذلك كله بالاضافة الى أن اليابانى يعيش ببساطة متقشفة قل نظيرها فى الغرب ( جيلان ) •

غير أن الذى يدفع بهذه العناصر جميعا الى أفق ابداعى ، فى تطور مستمر ، هو كونها تجرى فى اطار جماعى عام قابل للاثراء ، جرى تحديده عند الانطلاق وان ظل يواكب كل الأنشطة ، ويقوم على ضبط خطوها مستعينا بمنظومة من القيم ، تعمل على حث الحلم الجماعى باستمرار •

وهنا ينبغى الاشارة الى مجموعة من المحاذير التى يجب الاتباه اليها عند الحديث عن التجربة اليابانية .. اذ يجب الحذر من مقولات مثل كون اليابانيين يشكلون « شعبا مجدا » يتمتع بـ « ارادة عنيدة » نحو التقدم ، ويتملكه « حب لكل ما هو جديد » ( جيلان ) • ذلك ان الله لم يحاب شعبا من

الشعوب ، ويضمن مورثاته البيولوجية ( الجينات ) ، ما لم  
يضمن مورثات الشعوب الأخرى . . ولسنا في حاجة الى الذهاب  
بعيدا وقصص النجاح الذى تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة -  
رغم مصاعب ومثالب الغربة - تحيطنا من كل جانب . . فلماذا  
يا ترى يتعذر على هذه الأدمغة النجاح ما بقيت في المحيط  
العربى . . وما علاقة ذلك بما يهبه الله لعباده .

هذا كما أن الارادة العنيدة ليست صفة ميثافيزيقية بل  
هى نتاج اكتمال الوعي بالنفس وبالتحديات ، بكل ما ينطوى  
عليه ذلك من مسئولية . . وقد حفز هذه الارادة في الظروف  
اليابانية شعور فائق بعدم الأمان ، وصل الى حد الخوف من  
الموت جوعا ، ما لم يعتمد اليابانى على نفسه .

### **استراتيجية العمل الجماعى المبدع :**

ولعله من المناسب هنا معاودة التأكيد على تجاوز أهمية  
الشروط السابقة حدود التجربة اليابانية . وعلى كونها تظل  
صحيحة بالنسبة للتجارب الأخرى ، التى تواصل ازدهارها  
ما التزمت جهود الانسان فيها بهذا السعى الجماعى الموجه  
للعمل المبدع . لكنها تبدأ رحلة تدهورها ، أو تدخل دروبا  
جانبية معوقة ، ما أن تفضل طريقها الى هذا السعى ،

أو تقصص منظومة القيمة السائدة ريش الابداع فيتحول المجتمع الى تدمير قوة الدفع فيه .

وهكذا يمكن تلخيص حاجتنا المستقبلية ، وهى ما قصد اليه - بالمناسبة - الأستاذ أحمد بهاء الدين ، فى الوصول الى استراتيجية واضحة للاستفادة من جهود الانسان العربى وفق الشروط التى اتضحت على مثال التجربة اليابانية . ولا بد أن تتسم بنود هذه الاستراتيجية بصفة التلاحم - بدلا من صفات الانقسام الحالية - بين مختلف عناصر الخطة :

التلاحم بين تعليم الانسان وعمله وبين عمله ووظيفته المتمثلة فى أعمار الكون ، وبين وظيفته وابداعه وأحلامه على أن تحت منظومة القيم - والقيمة - السائدة هذه العلاقات لا أن تنال منها .

#### ضرورة الاطار الديمقراطى :

يبقى التأكيد على عامل لا يمكن بدونه الخطو خطوة واحدة الى الأمام وهو الاطار الديمقراطى لذلك كله . ذلك أن شيئا ذا بال لا يمكن أن يتحقق ( فى أى تجربة ) دون مشاركة أصحاب الشأن فيه ، على أوسع نطاق ، وليس من الممكن الحديث عن اخراج الناس من حالة « الانامالية » ( أنا مالى ) التى تخنق انسانياتهم دون السعى الدؤوب الى مشاركتهم الديمقراطية .

غير أنه ينبغي لنا ونحن نتحدث عن « الاطار الديمقراطى »  
ان نحلى بالواقعية بعيدا عن التهويمات الرومانسية التى لا صاة  
لها بواقع الحياة وحتى نوضح هذه النقطة لا بأس من مثال .  
لعل القارىء يذكر « بوبى ساندز » الذى كان عضوا  
فى الجيش الجمهورى الايرلندى ، وحكم عليه بالسجن ١٤ سنة،  
لأن البوليس عثر فى بيته وسط الظروف الايرلندية العاصفة فى  
حينه ، على مسدس بدون ترخيص .

راح الرجل — فيما بعد — يجاهد من أجل هوية السجين  
السياسى لا المجرم المجرد ، وكانت الحكومة البريطانية ترفض  
ذلك رفضا قاطعا ، وترد على الهيئات العالمية التى اهتمت بالأمر  
( منظمة الأمم المتحدة ، ومنظمة حقوق الانسان ، وهيئات  
الجماعة الأوروبية .. ) بأن ساندز ورفاقه ليسوا سوى مجرمين  
نكرات .

أتخذ أقدم بوبى ساندز على خطوة فاضحة اذ تقدم من  
سجنه مرشحا فى الانتخابات البرلمانية ، وطالب جمهور الدائرة  
التى رشح نفسه فيها تأييده ، لا من أجل أفكاره السياسية  
وانما من أجل المطلب الخاص بهوية السجين السياسى .

وجرى الأمر كله وسط موقف غاية فى الحرج . كان  
بوبى ساندز قد أعلن هو ورفاقه فى السجن اضرابا عن الطعام

( حتى الموت ) من أجل الحصول على هوية السجين السياسى  
وكان واضحا انه يسعى الى استعادة الهوية البرلمانية بعض  
الوقت ، فاذا نجح عن هذا الطريق فى اخراج الحكومة ومنحته  
هوية السجين السياسى تنازل عن المقعد البرلمانى ٠٠ وان  
ركبت الحكومة رأسها وأصرت على رفضها سيكون بوبى ساندز  
قد قدم علامة استفهام هائلة حول فحوى الديمقراطية ، وأهمية  
صندوق الاقتراع ، بل وطبيعة الشرعية التى تستند اليها الحكومة  
ذاتها .

وقادت الحكومة البريطانية حملة شرسة ومكثفة ضد  
انتخاب ساندز ، مخوفة الناس من أن انتخابه يعنى اعطاء تفويض  
برلمانى لقاتل . لكن الناس اختاروه فى النهاية ، وفاز بالمقعد  
البرلمانى للدائرة ، ومع ذلك استمرت الحكومة فى رفض مطلبه  
ورفض المساعى العالمية بصدده ، وأصر بوبى ساندز على  
« أن الموت جوعا أفضل من العبودية » وكانت النهاية المؤسفة .

ولا يظن أحد أن الطراز الكورى الذى اختاره الأستاذ  
أحمد بهاء الدين ليفضح من خلاله دراويش الاجار السطحين  
( سواء فى حديثهم عن الديمقراطية أو الألساب الأولمبية )  
لا يظن أحد أن الطراز الكورى هو ما أعنى من اطار ديمقراطى ،  
ذلك أن ما يهمنى التأكيد عليه هو أن قيما كالديمقراطية ليست  
مجرد صياغات لفظية ، وانما واقع اجتماعى حى تسرى عليه

قوانين التغير والتحول والنمو والانتكاس ، وعلى من يريد أن يتقدم ان يكدح ويدع مفاهيمه ، أو الاطار المناسب لما يروقه من مفاهيم . ذلك بالاضافة الى التأكيد على العلاقة الجدلية بين مستوى المشاركة فى النهوض من خلال العمل الجماعى المبدع وبين اشتداد عود الديمقراطية .

بقيت ملاحظة أخيرة اذ اعتقد أن المراقب الواعى يتفق معى ابتداء على زيف الصور الطوباوية « الصافية الألوان » . الأمر الذى أكدنا عليه منذ البداية ( فى تعداد المثالب التى تعتور التجربة اليابانية ) . ولا يدفعنا الى انهاء المقال بهذه الملاحظة الا تأكيد امكانية فوضنا الاجتماعى نحن بالذات ( رغم كل المثالب ) فهذا هو بيت القصيد فى كل من الفزورة التى طرحها علينا الأستاذ أحمد بهاء الدين ، وهذه الكلمات التى أحاول الوقوف بها الى جانب دعوته .

وان صح ما وصلت اليه فى دراستى للتجربة اليابانية فلا بأس فى اضافة فزورة جديدة حول ذلك التصور العبقري الذى يمكن أن يدع استراتيجية تحول شعبنا الى العمل الجماعى المبدع ، مع منظومة القيم المناسبة التى تضمن بقاء الغالبية العظمى على هذه الحال .



## التعليم هو قضية وجودنا

ونقص موارد تطويره اكلوبية

المتابع لما يجرى فى العالم خلال السنوات الأخيرة ، يدرك مدى الغزلة التى تهدد العربى فى مجال الوسائل المعرفية والتعليمية ( الكمبيوتر والملى ميديا وشبكة اترنت والسوبرهاى واى و ٠٠٠ ) ، حتى أنه بات على وشك العيش فى حصار يقطع صلته بمعارف العالم حوله ، وهذه مشكلة كلية الأبعاد للتلازم بين الثروة الحقيقية للمجتمع والثروة البشرية ، ولأن مستوى الطاقات البشرية ( أساس فرص العمل والانتاج والتصدير و ٠٠٠ ) هى أهم ما يحدد مستقبل الأمة ، بقادريها وغير قادريها ، وهكذا فان المسألة فيما يخص المعرفة والتعليم ليست تكافؤ الفرص والعدل الاجتماعى فقط ، وانما مستقبل المجتمع بوجه عام ، واثاحة أقوى المحركات للنهوض به .

أن تلميذ « نظام التعليم الذي نختاره اليوم » سيبدأ ممارسة عمله بعد حوالي ٢٠ سنة ( ٢٠١٥ ) ، وسيواصل العمل حتى سن المعاش ( حتى عام ٢٠٥٥ وربما أكثر ) . أي أننا لن ندخل القرن القادم دخولا حقيقيا واعيا الا اذا توفر لنا نظام تعليمي يتناسب مع هذا القرن . فهل يمكن أن تتوفر لنا فرصة ديمقراطية لتحديث التعليم ؟

من حسن الحظ أن هناك طريق لتجاوز الحصار المعرفي الحضاري الذي يهدد مواطننا ، وحل مشكلة من الدرجة الأولى من مشاكل الأمن القومي فيما يخص مستقبل الأمة ومصيرنا ، دون أعباء تذكر . . ان اتاحة فرصة التعليم العصري للجميع متمسرة ، في حدود الامكانيات المتوفرة ، اذا تخلينا عن التفكير التقليدي وتحطينا ببعض السلوك الابداعي .



في واحد من أرقى معاهد الفيزياء في عالمنا جلست لجنة قبول الدارسين الجدد تفحص أوراق المتقدمين للالتحاق قبل المقابلة الشخصية لكل منهم ، وتختار وفق الأوراق من ترشحهم للقبول ومن ترشحهم للرفض ، وضمت الى قائمة المرفوضين كل الحاصلين على الدرجات النهائية في الفيزياء ،

رغم أن المهمة الأولى للمعهد هي تخريج الكوادر التي ستطور علم الفيزياء !

ولم يكن ذلك بالأمر الغريب فالمعروف أن عددا من معاهد الفيزياء الحديثة توصى طلابها أول يوم في الدراسة بأن ينسوا الفيزياء التي درسوها في المدرسة ، بل وهناك معاهد تفضل أن تريح نفسها من البداية وترفض قبول الطلاب الحاصلين على الدرجات النهائية في الفيزياء التقليدية ، وحجة القائمين عليها في ذلك أنه من العسير على هؤلاء استيعاب عالم الفيزياء الحديثة استيعابا ابداعيا .

وهذا ليس تهويما أو ادعاء ، فقد وقف بوانكاريه على باب النظرية النسبية دون أن يجزؤ على الولوج منه لأنه لا يتفق مع المسلمات الفيزيائية التي كانت شائعة في عصره ، والتي كان قد استوعبها جيدا . بينما كان عدم تمكن هذا المسلمات من أنثنتين بين أسباب اكتشافه ، ولم تكن هذه مشكلة بوانكاريه وحده ، فقد رفضت جهات علمية محترمة جدا النسبية في حينه ، ولم يكن ذلك قدر النسبية وحدها ، إذ أنه تكرر مع كل اكتشاف عظيم من الوراثة وحتى الخروج الى الفضاء .

ولعل القارئ يسأل لكن ما علاقة ذلك بالتعليم في مصر ؟  
ان نموذج الحاصل على الدرجة النهائية ، المرفوض للأنس

من قدرته على الابداع ، هو النموذج الذى يحتفى به نظام التعليم المصرى ويتبناه من مراحله الأولى وحتى مراحله النهائية . ولعل العودة الى عمل لجنة القبول فى معهد الفيزياء وما تدقعه من أمور حتى تؤكد رفض أصحاب الدرجات النهائية أو تغير وجهة نظرها المبدئية وتقبلهم ، لعل هذه العودة تكشف لنا بعض عيوب التعليم المصرى .

أول ما تدقعه لجنة القبول هو نظرة الطالب الى الفيزياء - والعلم بصفة عامة - هل هى معارف مقدسة منتهية ، أو كيان حى فى تطور مستمر ، وفى كل أنظمة التعليم الراقية لا بد أن يصل للتلميذ بشكل من الأشكال حس التطور المستمر فى المعرفة ، والثورات الكبرى التى حدثت فى اطار كل علم ، بل والمخاض الصعب الذى صاحب هذه الثورات والمعارضة الشرسة لها ، التى بدت طويلا وكأنها على حق و ...

### التعليم والحب :

والعامل الثانى الذى تدقعه اللجنة هو علاقة الطالب بواقع الفيزياء ، وليس بكتبها ، ذلك أنه ليس هناك قيمة ابداعية لتعليم لا يدخل فى جدل مع الواقع ، ومع العواطف النابعة من العلاقة به ، وليس هناك مثال لايضاح ذلك أقرب الى وجدان المصرين من السبيل الذى أتبع فى هدم السائر الترابى على

ضفة قناة السويس في حرب ١٩٧٣ ، اذ استفاد أحد الجنود المصريين من تجربة تعلمها قبل ذلك خلال عملية تجريف الصخور بالمياه ( ذات الضغط العالي ) أثناء بناء السد العالي ، ومن الهم والحب والخبرة تولدت فكرة الحل الابداعى الذى اصاب الكثيرين بالذهول .

فندقيق العلاقة بواقع الفيزياء ينطوى على اختبار مدى حب الفيزياء ، بل والهوس بها . فلا يمكن أن يكون هناك ابداع دون حب ، فالمصرى الذى ابداع طريقة ازالة السد الترابى كان مهوما بهذا المأزق أى أنه كان يجب حبا حقيقيا ملك عليه نفسه .

ولا بأس من مثال آخر يكشف سحر الحب والهم الذى يخرج من العادى بالمذهل ، ففي فجر اختراع الطيران كان هناك مأخذ يصيب هذا الاختراع الحضارى الفذ فى مقتل ، هو أن الطائرة سرعان ما تهوى وتتحطم بمن فيها عندما يصيب أهون خلل ، أيا من أجهزتها . ويومها كان واحد من الرواد المبكرين لأجهزة الطيران يضى مهوما بهذه المشكلة ، فى طريقه لمشاهدة أحد استعراضات الاقلاع والتحليق والهبوط فيما يشبه ملعب كرة القدم ( كان الطيران مازال مغامرة واستعراض وفرجة ) ومع كل القلق الذى يحسه على الطيارين والهم الذى ينوء به ،

طالعه وجه متفرج بعين واحدة ( أعور ) ، وللتو برقت في ذهنه « الحب المهموم » الفكرة « العبقريّة » : لماذا لا تكون كل الأجهزة الحساسة في الطائرة مزدوجة ، كما هي الحال بالنسبة لعيني الإنسان ، بحيث يدخل الجهاز البديل في العمل حال أن يصاب الجهاز الأساسي بالعطب . وكانت هذه هي الفكرة التي فتحت الباب لتحول الطيران من مغامرة غير محمودة العواقب ، الى ثورة حضارية حقيقية ، اذ جعلت منه عملية تتمتع بضمانات أمان لا تقل عما يتوفر لغيره من وسائل النقل .

#### قطار التعليم الطوالى :

وليغذر لى القارىء الاسهاب في هذه النقطة لأنها تتصل بعيب ضرب نظام التعليم المصرى في مقتل ، هو ما يفرضه هذا النظام من اكمال المرء تعليمه في نفس واحد ، العالى بعد الثانوى ، دون أدنى فرصة ، لاستئناف التعليم ، بعد فترة توقف لأى سبب كان ، الأمر الذى يؤدى الى تعلق الجميع باهداب « قطار التعليم الطوالى » حتى دون أن تتواءم وجهته مع ميولهم الحقيقية . فهايك عن معمة المجموع والتنسيق ، أين الفرصة لمن شغلته الشهادات والدروس الخصوصية ، ولم يصل للعشرين بعد ، في أن يكتشف ميله الحقيقى ، وعلى مهل وبالتجربة ، وبصوره تجمله محبا مهموما ، و ...

وفى كل الأنظمة التعليمية المتقدمة ليست هناك قيود على عودة من قطعوا رحله تعليمهم ، بل أن فترة العمل تحسب لصالحهم عند القبول مجددا فى التعليم العالى ، لأنه ينظر لذلك فى اطار النضج العام للفرد ، وتزيد فرص هؤلاء أن كانوا قد احتكوا خلال تجربة عملهم بالمجالات التى يسعون لاكمال دراستهم فيها ، بل وتقدم لهم التسهيلات والانغراءات ، من منطلق ضرورة الارتباط بالواقع الذى سبقت الاشارة اليه . وحتى فيما يخص قطاع من يكملون تعليمهم دون توقف تنظم المعاهد العليا المعنية لهم دورات خاصة تعرفهم على طبيعة المجال الذى يريدون اختياره ، الى جوار الفترات التى تفتح فيها أبواب هذه المعاهد أمام غير الدارسين ، للاحتكاك بالدراسة والأساتذة والدارسين ، حتى تجرى اختيارات الراغبين على أسس أكثر معرفة وواقعية .

ولعل الأخطر فى نظام التعليم المصرى أن الرغبة فى عدم فوات « قطار التعليم الطوالى » تؤدي الى سلسلة من التداعيات الشاذة ، فمن التزاحم ( المشروع بالطبع ) الى قضاء غالبية الطلاب لسنوات التطلع والتكوين فى حالة من العطالة المقنعة ، تحت وهم التعليم ، والى أزمة فرص العمل وطبيعة العمل ذاته ، لأنه فى هذا الاطار يكون مرحلة مبتوتة الصلة تماما بما قبلها على أحسن تقدير ( ذلك أن للعطالة تأثير مدمر يكتسبه الانسان

ويظل يتحكم بتوجيهاته فيما بعد ، مكرسا سلسلة هدر  
الإمكانات ) •

وقبل أن أتقل للحديث عن فرصة التعليم المصرى فى  
النهوض لا بأس من أن نخرج على مجموعة من المشاهد • الأول  
يخص بعض العوامل التى تدققها لجنة القبول للتأكد من قدرة  
الطالب على الابداع ، وأن كنا سنمر عليها سريعا لاعتبارات  
المساحة ولأنا سنفصل بعضها فيما بعد •

وأول هذه العوامل التحقق من قدرة الطالب فيما يخص  
لغته الأصلية ، وغيرها من اللغات الأجنبية • وموقف الطالب من  
الأدب والشعر - رغم أن المطلوب هو الالتحاق بمعهد للفيزياء -  
لما لهما من قدرة على تنمية القدرات الابداعية ، فكل النظم  
التعليمية الراقية تحرص على أن يدرس كل الطلاب العلوم  
الانسانية والأدب والشعر ، ولكن ليس كل أدب وشعر ، فكثير  
مما هو شائع لدينا فى هذا الباب مسجون فى قطيعات وقبليات  
وسلفيات ، تقتل كل قدرة له على ألحاث الابداعى •

اطفال يتفوقون على مربيهم :

أما المشهد الثانى الذى نود أن نعرض له هنا فهو من  
الولايات المتحدة الأمريكية • فقبل ١٠ سنوات كان فى المدارس  
الأمريكية كمبيوتر واحد لكل ١٢٥ تلميذا ، لكن عدد الأجهزة



صار في عام ١٩٩٤ واحدا لكل ١٢ تلميذا ( غير الأجهزة الخاصة الموجودة في البيوت ) . ومع ذلك لم تنته مشكلة الأمريكيين مع تعليم عصر المعلومات . ذلك أن التطور التقني مستمر على نحو عاصف ، ولم يعد المهم أن يجلس الطفل الى جهاز كمبيوتر ، بكل المناهل المعرفية التي تتيحها برامجها وهي جد هائلة ، وانما الآفاق التي تتجاوز الامكانيات الذاتية للجهاز وبرامجها . الآفاق التي يمكن أن يصله الكمبيوتر بها ، وتفتح أمامه بانورااما المعرفة الانسانية ، عن طريق الارتباط بشبكات الاتصال العالمية ، التي تنتشر هذه الأيام بسرعة ، وتعرف بـ « طرق المعلومات السريعة » .

و ٢٥٪ من التلاميذ الأمريكيين باتوا على اتصال بشبكة « انترنت » ، التي تطوى بين جوانبها كل الشبكات العالمية . ومن خلالها صار بإمكانهم القيام بزيارة كاملة لمتحف اللوفر في باريس والأرميتاج في بطرسبرج ومحمود خليل في القاهرة — وغيرهم طبعاً — وهم جلوس في منازلهم ، والاتصال بالمكتبات الأوربية الكبيرة ، وبنوك المعلومات اليابانية ، و « الثروة » مع الخبراء والنجوم و ... ، في كافة المجالات وفي مختلف أنحاء العالم المتمدين .

وهكذا لم يعد الشعار الشعبي في المدارس الأمريكية هذه الأيام « دجاجة في كل وعاء » ولا حتى « جهاز كمبيوتر على كل

مكتب » ، بل « توصيل كل جهاز كمبيوتر بالشبكة العالمية » •  
وليس هناك من يستطيع التنبؤ بما سيؤدي اليه تربية أطفال  
على هذا النحو ، يتفوقون بما لا يتناسب على مربيهم : أهلهم  
ومدرسيهم و ••

وليعذرني القارئ على هذا المشهد الأمريكي الذي لا قبل  
لنا به ، لأن عالم الغد هو عالم القرية الواحدة الذي سيتعامل  
فيه طفلنا المصري تعاملًا مباشرًا مع هذا الطفل الأمريكي وأمثاله  
من أطفال العالم المتقدم •  
ديمقراطية مناهل المعرفة :

والمشهد الأخير يخص ديمقراطية التعليم • وهي ليست  
مسألة أخلاقية فكل المجتمعات الواعية لمستقبلها تعمل على إتاحة  
ذلك • ويكفي في هذا الصدد الإشارة إلى أن عملية اكتساب  
وتطوير المعرفة ، التي صنعت التجربة اليابانية ، تبدأ بالتعليم  
الإلزامي في المدارس التي تشرف عليها الدولة ، وفي إطار تكافؤ  
تام للفرص يسقط الحواجز الاجتماعية ، ويتيح إمكانات التقدم  
أمام الجميع ، مما يؤدي إلى الاستفادة من أفضل العناصر  
البشرية دون تمييز ، ويستمر هذا التكافؤ في الفرص حتى  
المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هي الأخرى  
دون حواجز اجتماعية • وذلك تطبيقًا لما يشيع في العلوم

التربوية الحديثة من أن عدم تكافؤ الفرص بين كل أفراد المجتمع في هذا الصدد ليس إلا إعادة لاتاج الظلم الاجتماعى والتخلف الحضارى •

بل ان الصيحات ترتفع في الولايات المتحدة الأمريكية محذرة من مخاطر مساهمة التطورات الأخيرة في زيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء ، لأن الأسر القادرة هى التى تستطيع أن تؤمن لأبنائها التعامل مع الشبكات الكمبيوترية ، اما بتوفير الامكانيات لهم في المنزل ، واما بالحاقهم بمدارس غنية تيسر لهم ذلك •  
المدرسة والجامعة التليفزيونية :

بعد هذه المقدمات تكون الأرضية قد مهدت ليان كيف يمكن أن تكون اتاحة فرصة التعليم العصرى للجميع في مصر متيسرة ، في حدود الامكانيات المتوفرة ، اذا تخيلنا عن التفكير التقليدى وتحلينا ببعض السلوك الابداعى •

ان الحل الذى نراه لتجاوز الوضع الحالى هو الاعتماد على التلفاز • صحيح أن الناس تعودوا على تحذيرات الدارسين من تأثيره الضار عليهم وعلى أولادهم • على وقتهم واستيعابهم ، بل وعلى صحتهم ، وصحة سعادتهم الأسرية ، ناهيك عن البساط الذى يسجبه من تحت أقدام ما يرقيه من أنشطة كالقراءة و...•

لكن هذه صورة مغلوطة تماما ، لأن التلفاز يمكن أن يكون أعظم وسيلة للتأثير على جميع جوانب الحياة ، ولأن دوره ينمو بإطراد . وقد أدركت تجمعات بشرية كثيرة ذلك فصارت توظف التلفاز في ترقية مشاهديه والأخذ بيدهم .

فأغلب المدارس والجامعات التي تتداول الحديث عنها حاليا « دقة قديمة » ، بينما المدارس والجامعات الحديثة هي مدارس وجامعات تلفازية تذيع « مناهجها » على الهواء ، وتوفر على الدارسين كثيرا ، لأنها تتيح لهم أرقى المضامين والوسائل التعليمية ، بأكثر الأدوات إبهارا ، وتجسد هذه الوسائل والمضامين على مدار اليوم ، دون أن تكبد الطالب عناء الزحام في المواصلات والشوارع والفصول والمدرجات ، و ...

وكلنا يعرف كيف يتبارى الناس على الحاق أولادهم بالمدارس النموذجية وبفصول المتفوقين فيها على وجه التحديد ، والتلفزيون يمكننا لا من جعل مصر كلها فصلا للمتفوقين فقط ، ولا من القضاء على الدروس الخصوصية - الآفة التي تكاد تغتال العملية التعليمية برمتها لأنها تجعل الكثير من المدرسين يتخلون عن واجباتهم الأصلية - فقط ، وإنما يساعدنا على إتاحة فرصة التعليم للجميع ، وبالتالي إشاعة ديمقراطية حقيقية في نظام التعليم . هذا كما أن هذه المؤسسة التلفزيونية

تساعدنا على ما يمكن أن نسميه التعليم العلاجي أو التكميلي للمتخصصين الذين تخرجوا بتعليم تجاوز واقع تطور المعارف كثيرا ، وللمدرسين الذين تسابقتهم المعرفة ، ذلك بالإضافة الى العمل على حث الابداع وحفزه ؟

ان الرغبة في مواصلة التعليم والترقى المعرفى رغبة مشروعة وضرورية في عصرنا ، وينبغي تليتها على أوسع نطاق مع الخروج من دائرة الهدر الجهنمية ، بالذات وقد قدم العصر حولا ناجحة لذلك ، تتمثل في « المدارس والجامعات التليفزيونية الحرة » التى تقبل أى راغب فى الالتحاق بها ( بصرف النظر عن اعتبارات السن أو تاريخ الحصول على شهادة ما أو ٠٠٠ ) ، التى توفر خدماتها ( حتى نيل درجة الدكتوراه ) برسوم رمزية ، ذلك أن تكلفة التعليم فيها لا تتجاوز ٢٠٪ من مثيلاتها فى المؤسسات التعليمية العادية ، وتقل هذه التكلفة كلما زاد عدد الطلاب ، لأن الجزء الأكبر منها يذهب الى اعداد المقررات •

وجدير بالذكر أن الوقت الذى ينفقه طالب المؤسسات التعليمية التليفزيونية فى الدرس والبحث يقل كثيرا عن الوقت الذى يقضيه الطالب العادى فى المواصلات ، وان جامعتها أرقى من الجامعة التقليدية ، اذ يسهل نتيجة لمركزيتها أن تعكس على

نحو أكبر أهم سمات التعليم الجامعي الابداعي ، مثل حث الميل الى البحث الذاتي والاعتماد على النفس ، والارتباط بمشاكل الواقع ( الدارسون فيها يرتبطون بمحالات عمل مختلفة ) ، كما أن ظروفها : من اتساع القاعدة والمركزية ومرونة امكانيات التطوير تتيح فرصة تحديث المقررات باستمرار ، للالتزام بأرقى المستويات . ذلك مع توافر الرقابة الاجتماعية عليها ( تداع مقرراتها على الهواء ) ، هذا كما تتيح المركزية الاستفادة من الأساتذة أصحاب القدرات المتميزة ورفع عبء التكرارية عن الأساتذة عامة ، وكل ذلك يجعل العملية التعليمية فيها أرقى من وجهة النظر الابداعية .

هذا كما يمكن جعل المؤسسة التعليمية التليفزيونية أداة ناجعة لاشاعة اللغة العربية واجادتها بوصفها أداة تنظيم الوعي ، لأن عدم اجادة استخدام هذه الاداة يعرقل كثيرا من قدرة المرء على التعبير وبالتالي على التفكير . وهذه قضية بالغة الأهمية ، لأن ما تتعرض له اللغة العربية يكاد يجرنا الى كارثة واسعة الأصداء . لكن ذلك لا يعنى عدم الاهتمام باجادة اللغات الأجنبية فقد صار من البلاهة ، التي تنال كثيرا من المرء نفسه ، الاعتقاد في امكان تجاهل متابعة النتاج المعرفي العالمي ، ويجدر بالذكر في هذا انصدد أنه رغم اعتزاز البلدان المتقدمة بلغاتها وغيرها عليها ، فقد باتت هذه اللغات تعرف قواميس ضخمة

للكلمات الأجنبية التى دخلتها ، وجزء كبير منها ينتمى الى مجال العلوم الحديثة •

ومن المهم أن نذكر فى هذا الصدد أن المؤسسة التعليمية ستجعل المدرسة الراقية والجامعة الراقية تصل الى المناطق الريفية والمعزولة والنائية من البلاد ، بل وإلى التلاميذ ذوى الظروف الخاصة ( المرضى مثلا ) • كما أنها ستقلل من اعتماد نظم التعليم على الأداء المتواضع لكثير من المدرسين ، وتقضى على شكاوى العجز فى أعدادهم بفتح وكسر العين على حد سواء •

وقد اتسحر التعليم التلفازى من هذا المنطلق فى بلدان كثيرة من بريطانيا الى الصين الى اسرائيل • كما دفع ذلك التوجه عددا من البلدان « النامية » الى توظيف استثمارات هائلة فى مجال الاتصالات ، فعلى سبيل المثال تسعى الهند الى ربط مناطقها بشبكة اتصالات هائلة تركز لها حوالى ثمانية بلايين دولار ، ادراكا منها للدفعة التى ستقدمها الشبكة الجديدة للتعليم والتقدم ، وتطمح نيودلهى بأن تربط بين ٥٧٦ ألف عربة خلال ثلاث سنوات ، فى اطار خطة تحديث تتجاوز كثيرا ما نطال به ، وتقف بالهند على مشارف طريق المعلومات السريع •

### الامكانات متيسرة :

بقيت اشارة الى أن الخبرات العالمية ( والمحلية ) بمواد مثل هذه المؤسسات التعليمية وفيرة ومتاحة ، كما أن مقتنياتها التقنية لا تعز علينا ، فالجامعة الحرة البريطانية مثلا ، تعتمد وهي أعرق الجامعات على ٥٠٠ ساعة من ارسال الاذاعة ومثلها من ارسال التلفزيون طوال العام الدراسي الواحد .

والمسألة ليست غريبة علينا تماما فلدينا نواة البرامج التعليمية ، ولدينا نواة برامج الجامعة الحرة . ويمكن أن تقوم على تجميعها وتطويرها جميعا بحيث تؤدي الغرض الجديد الذي فضعه نصب أعيننا . أى أنه لا ينقصنا في هذا الصدد الا تحديد الفلسفة والهدف والمنهج ثم العمل الواعى المتقن ، على نحو متواصل . هذا كما أن لدينا ما يناهز ٢٠٠ ساعة ارسال تلفزيونى يومى ، ومثل هذه المؤسسة لا تحتاج الا الى ٨ ساعات يوميا .



## موسوعة المجهول العربية

### وكفاءة الدورة السوية للمعرفة

تحدثنا عن التعليم وتربية المبدع ، وأنجح سبل تعليم الجميع • لكن محاولتنا يجب أن تتخذ منحها نحو طرح متكامل لعناصر اشاعة المعرفة •• تماشيا مع معالجات العلم الحديث التي تتناول أى ظاهرة معقدة بصفتها منظومة (System) وتكد في تناول عناصرها الأبسط ، وفهم العلاقات بين هذه العناصر ، وكيفية السيطرة عليها •

ولا بأس من تأكيد الطرح المنظومى لقضية المعرفة ببيان أهمية وجود موسوعات عامة وموسوعات مجهول عربية وتكوين شبكة سليمة من الأوعية المعرفية ( مثل شبكة الأوعية الدموية ) تتمثل في المكتبات العامة •



في عام ١٩٧٤ ، ومع بداية اقامة أوربية طويلة وجدتني ، في ارتباط بطروف العمل المعرفي ، مستغرقا على عجل في تكوين

مكتبة وافية ، فى فروع المعرفة المختلفة ، واستغرب زملاء المهنة ،  
وهم من جنسيات أوربية وأمريكية مختلفة ما كنت أفضله ..  
وحين استوضحت ما يستغربونه ، صارحونى بعدم حصافة  
مسلكى بينما يحوى المنزل المجاور لمنزلى ( ناهيك عن مقر  
عملى ) مكتبة عامة .

ساعتها ضحكت من زملائى فالكثابة فى مجال المستقبلات  
لا تحتل بعض خواء - ناهيك عن الخواء الكامل - المكتبات  
العامة ، كما لا تحتل تدال العاملين فى مثل هذه  
المكتبات ، و ..

لكن زملائى الأوربيين والأمريكيين قابلوا كل ذرائعى  
باستغراب أكبر ، مؤكدين لى ان زيارة واحدة للمكتبة العامة  
سوف تغير من هذه التصورات المغلوطه . ولما كانت المكتبة  
مفتوحة على مدار النهار فقد قررت أن أجرب نصيحتهم بالذات  
بعد أن فشلت فى اقتناء عدد من الموسوعات الكبرى التى يحتاجها  
العمل لأنها ليست متيسرة هكذا للاقتناء ، لمن يدفع وساعة  
يريد ، وان كانت موجودة فى كل المكتبات العامة ( ! ) ويا للعجب  
فقد قلبت الزيارة تصوراتى عن المكتبات العامة ، رغم انى  
مدين بتكوينى الأول لدار الكتب المصرية ، حيث كنت أقضى  
بعض يومى فيها ، ولم يكن قد طرأ عليها ( قبل ٤٠ سنة ) ما طرأ  
على المكتبات المصرية العامة هذه الأيام .

## شرايين المعرفة :

ولا أود أن أثقل على القارئ بالحال التى وصلت اليه مكتباتنا العامة ، فلاشك فى ان أى مهتم جرب يوما ارتياد احداها .. لذا فالأجدى الانتقال مباشرة الى مجموعه من الأشياء التى هالتنى فى المكتبة العامة الأوربية « الصغيرة جدا » لانها تخدم « ربعا » لا يزيد على عشر عمارات ( ٣٠٠ شقة ) ، علما بانها موجودة ( ناهيك عن مكبات مؤسسات العمل والدرس ) فى سلم من المكتبات يرتقى من مكتبة الربع الى مكتبة الحى الى مكتبة المدينة الى المكتبات المركزية ومنها مكتبة كاملة مكرسة للآداب الأجنبية ، عثرت فيها حتى من الكتب العربية ، على ما لم أستطع الوصول اليه فى دار الكتب المصرية .

كان أول ما هالتنى ان المرء يستطيع ارتياد المكتبة واستعارة ما يريد من كتبها بضمان رقم بطاقته الشخصية ، ودون أى تعقيدات بيروقراطية .

وكان ثانى ما هالتنى أن المكتبة تتيح الاطلاع على ( واستعارة ) أى كتاب يريد المرء ، حتى اذا لم يكن بين مقتنياتها وذلك بعلاقة أو اتفاق مقنن بين شبكة المكتبات العامة وهى علاقة تعمل بانتظام وسرعة بارقة .

وكان ثالث ما هالني كثافة مرتادى المكتبة للاطلاع وتبديل الاستعارة .. بدءا من تلاميذ المدارس وحتى من يحضرون لنيل درجة الدكتوراه ، ومن الأطفال وحتى المسنين الذين يقطع مظهرهم بأنهم باتوا على المعاش ( كثير من مكتباتنا القليلة ليست مجرد مخازن للكتب ، وانما مراتع « للقرآن » ) .

وكان رابع ما هالني دور أمينة المكتبة التي لم يلفت مظهرها نظري للوهلة الأولى ، وان بهرتني مع الأيام ، بانه يكفى ان تذكر لها الموضوع الذى تود الاطلاع ( أو حتى الدرس المتعمق ) فى بابه ولن تمر دقائق حتى تجد أمامك عشرات الكتب التى تتناول موضوعك ، وهى لا تكفى بذلك ، فى كثير من الحالات ، بل تنصحك باستشارة هذا أو ذاك ممن يرتادون المكتبة ، لانه مهتم بموضوع له علاقة بموضوعك ( ! ) .

#### الموسوعات وابداع المعارف :

قائمة طويلة من الأشياء التى هالنتنى فى المكتبة العامة الأوربية ، لكن لا بأس من وقفة عند طفل صغير كان قد لفت نظري حين اكتشفت من نافذتى مواظبته فى التدريب على الرياضة وأداء الحركات الإيقاعية بصورة يومية منهجية عنيفة ( كما لاحظت لى للوهلة الأولى ) فى الباحة الخضراء التى تتوسط عماراتنا السكنية .

بالكاد كان عمره يؤهله للوصول الى النصف الثالث في المدرسة الابتدائية ، وفوجئت به يوما يدخل المكتبة في اعتداد ، ويستأذن في تناول المجلد الثامن عشر من الموسوعة الكبرى ويذهب الى تناوله من موضعه ، ثم يجلس مقلبا الصفحات حتى يصل الى نقطة يستغرق عندها في القراءة بعض الوقت ، ثم يعيد مجلد الموسوعة الى مكانه وينصرف .

كان لفعل الطفل الصغير الذي يتعامل مع الموسوعة الكبرى رغم وجود موسوعة للأطفال تناهز مجلداتها العشر وموسوعة للشباب و .. كان لفعل الطفل وقع الصدمة على اذ وجدتنى أفكر بصورة أوتوماتيكية في العمر الذي يتناهى الى معرفة مواطني فيه ان المعلومات مصنفة في موسوعات ، ناهيك عن توافر مقومات توظيف معلومات هذه الموسوعات في ابداع معارف الأمة ( بالمناسبة مخترع ترتيب المعلومات وفق حروف أبجدية هو العالم العربي الخليل ابن أحمد صاحب « كتاب العين » ) كما وجدتنى أفكر بالوجهة التي تدفع بها رياح المناخ العام شرع الناشئة واستعيد وقائع ابتلاع مطالعة « أخبار الأهلى والزمالك .. » لآى اهتمام للنشء بالقراءة ..

ويستطيع القارئ ببعض الخيال تصور كيفية عمل منظومة اشاعة المعارف في المجتمعات الناهضة .. من تفاعل محفزات

الجو العام مع حركة إصدار الكتب والموسوعات وانتشار شبكة المكتبات العامة والجامعات الحرة .. لكن ما يعطى المنظومة المعرفية وجهتها الإبداعية حقيقة تلك الحلقة التي يمكن من توظيف الخبرات والمعارف المعبأة على الورق ، وتجعلها معارف حية تمارس فعلها في جسد المجتمع وتنهض بنتائج الإبداعى الجماعى ( أول نصيحة يتلقاها من حصل أى برنامج معرفى فى بلادنا : انس كل ما درسته ولنبدأ من البداية .. ) واستأذن فى ايضاح طبيعة هذه الحلقة بنفس المنهج التمثيلى .

### موسوعات مجهول عربية :

لقد أصبت منذ مشاهدتى الطفل الصغير يتعامل مع الموسوعة الكبرى بما يمكن ان اطلق عليه مرض الاهتمام بالموسوعات .. وعرض لى فى دنياها الواسعة ما يسمى بموسوعات الجهل أو المجهول (Ignorance) وكانت المرة الأولى التى أعرف فيها انه حتى القضايا التى لم يتعرف عليها الانسان وبصورة كاملة بعد ، باتت تصنف هى الأخرى ، تسهلا على الباحث والمبدع والمفكر ، وفى سبيل النمو المعرفى الفعال .

واستجابة لتساؤل لا بد انه لاح فى ذهن القارئ عن ماهية هذه الموسوعات لا بأس من مثال تطبيقى يوضح بيت القصيد

من التطرق الى موضوعها وأهمية الدعوة الى اصدار موسوعات  
مجهول عريية •

لقد اشتهرت مصر بخصوبة أراضيها وبالمناخ الذى يحسدنا  
عليه العالم ، ناهيك عن وجود مياه النيل ، ورغم كل هذه  
الظروف المواتية بتنا نسورد كثيراً من احتياجاتنا الزراعية  
الأساسية ، من بلدان فى ظروف طبيعية أسوأ من ظروفنا  
بكثير ( ! ) وهذه مفارقة لا بد وان تدفع الى التفكير فى  
الأسباب ، بالذات اذا وضعنا الى جوارها مفارقة أخرى تمثل  
فى ان بمصر أكثر من عشر كليات للزراعة تمنح من درجات  
الدكتوراه - مثل غيرها من كلياتنا الجامعية - ما يفوق كثيراً  
النسب المثيلة فى جامعات الدول التى نهضت زراعاتها •

وعند التفكير فى أسباب تردى الأداء على هذا النحو  
لا يحتاج الأمر الى كثير من العناء حتى ندرك ان للزراعة - كما  
لغيرها من الأنشطة - وجهها الخاص فى كل مجتمع وان ما تحتاجه  
فى مصر كى تتطور غير ما تحتاجه فى بلد أوروبى مثلاً ، وان حركة  
البحث العلمى المتوط بها تمحيص الوجه الخاص لزراعتنا تعمل  
بعيدا عن هذا الوجه •

ان نواميس تطور المعارف تعلمنا ان الانسان يقع فى أسر  
أول ما يحصله من معارف ومعلومات وانه يحتاج الى وقت

وخربرات متعمقة لتجاوز دائرة هذا الأسر ، والتعرف على الوجه الخاص لمشاكله وأبداع ما يفيد في حلها .

ولعل المشكلة وفق نوااميس تطور المعرفة هذه هي وقوع حركتنا العلمية في أسر ما يصل إلينا من معارف خارجية حتى اننا نتعثر كثيرا في حيائل النقل المباشر ( وليس مجرد الاستفادة التي لا عيب فيها ) من المدارس العلمية الأجنبية بدءا من نقل المشكلات التي نبهنا و انتهاء بالحلول التي نمحصها مروراً بنهاج البحث التي نستخدمها .. كما اننا كثيرا ما نبهت مشكلات ما على انها مشكلاتنا الأولى لمجرد أنها طرحت على هذا النحو في الخارج ، رغم عدم صلاحيتها لاحتلال المرتبة العاشرة في قائمة أولوياتنا بينما تبقى مشاكلنا الحقيقية دون تناول حقيقي .

فلاشك ان أبحاث استصلاح وتعمير الأراضي في بلاد تعيش على ٥٪ من رقعتها لايمكن أن تكون ضمن المشاكل الأوربية التي تنقل عنها ، وقس على ذلك مشاكل مثل ضرورات وامكانيات الميكنة الزراعية في بلادنا ، واختلاف متطلباتنا من الهندسة الوراثية من حيث ضرورة التوصل الى محاصيل تتلاءم مع مناخنا غير الأوربي ، ومع الاستغلال المكثف للأراضي ، على نحو لا تتيحها الثلوج الأوربية ، وحتى الوصول الى الاطارات



الادارية الملائمة لظروفنا ولحركتنا العلمية ، والقادرة على تجاوز  
بيروقراطيت المتأصلة وتكاسلنا القاتل .

وهذه مجرد أمثلة ، كما أن اختيار الزراعة نفسها ليس  
سوى مثال ، وان كان لنا فلا بأس من مثال فاضح في هذا  
الصدد يتمثل في تلك الرسالة العلمية ( ! ) التي تعد في احدى  
كليات الهندسة في بلادنا ( ! ) حول ظروف الاسكان في  
القضاء الكونى ( ! ) بينما تأخذ مشكلة الاسكان بخناق  
الغالبية العظمى من المصريين ، وليت لدى من يعدها ما يؤمله  
حتى للوحام على تطوير مسيرة الحضارة البشرية ذلك انه  
يسعى في عداد مراجعه الى مادة تليفزيونية متهاقة أعدت حتى  
يشاهدها المرء وهو يثرثر .

والأمثلة على « توهان » حركة البحث العلمى في بلادنا  
لا تحصى في مختلف المجالات ، الأمر الذى يقطع به واقع الحال  
في الشارع العربى ، لكن هدفنا هنا ليس سرد الأمثلة ، وانما  
الوصول الى أهمية تأليف موسوعات مجهول عربية ترشد من  
مسيرة حركة البحث في بلادنا .. ذلك ان لدينا علماء أجلاء  
اجتازوا مرحلة تكبيل المعارف الأوربية الأولية لمقولهم وامتلكوا  
من القدرات النقدية الى جوار الخبرات المتعمقة بظروفنا  
ما يمكنهم من ادراك المشاكل الحقيقية التى مازال علينا حلها ،

حتى تتجّح في توظيف المعرفة للنهوض بمجتمعنا والاطلاع عن طريق ذلك بدورنا الحقيقي بدلا من الهرب الى أوهام .

لكننا جريا على عادات تكاد تكون قد ناصلت فينا ، نهدر خبرة هؤلاء العلماء لتظل حركة البحث العلمى لدينا ، على هزالها أو على اختلاط سلم أولوياتها .. لتأخذ مثلا خبرات الدكتور مصطفى الجبلى ومشكلات الزراعة المصرية ، وخبرات الدكتور حماد يوسف حماد ومشاكل الري المصرى وخبرات الدكتور عبد السميع مصطفى ومشاكل مصر فى عصر الالكترونيات .. وبالطبع خبرات عشرات من العلماء الآخرين . يستطيع أصحابها أن يقوموا بعملية احياء حقيقية لحركتنا المعرفية ولحركة البحث العلمى فى بلادنا لو رهنوا لنا الطريق الصحيح فى موسوعات « المجهول فى عوالم تخصصاتهم » وحددوا لحركتنا العلمية المشاكل التى تحتاج الى حلول فى ارتباط بطروف مجتمعنا .

#### القضية قضية وجود :

بقيت اشارة الى أن مسألة الطرح المنظومى المتكامل لموضوع شبكة الاحياء المعرفى ( الموسوعة الكبرى - موسوعات المجهول - المكتبات العامة - الجامعات الحرة .. ) ليست ترفا تقصد منه وجهة ما فى عصر المعلومات بقدر ما هى محاولة

لمواجهة مخاطر كثيرة تهدد وجودنا ذاته ، ولا أمل في تصدينا لها بغير التفكير المبدع الذي يلتزم ظروفنا الخاصة ولا يمكن أن نشتره جاهزا ، أو نؤجر من يقوم به عنا .

وان كان البعض يرى أن التكاليف المادية تشكل عبء في سبيل انشاء موسوعة عربية كبرى ، فالمؤسف اننا نحن العرب نتفق على مطبوعات هائلة الحجم ولا قيمة لها في نفس الوقت ، ما يكفي لصنع عشر موسوعات وليس موسوعة واحدة ، رغم ان هذه الموسوعة مستشكل ان انجزت أهم المنطلقات الثقافية العربية على الاطلاق .. ولعله من فضل القول الاشارة الى أن أمورا من قبيل تأليف موسوعات المجهول ( تصدر في مجلد واحد كالكتاب ) لا تحتاج امكانيات مادية قدر ما تحتاج الى الوعي والارادة والعمل الذي يؤدي غيابه الى سقامنا .

وحين نقول أن المسألة مسألة وجود ومصير فليس الأمر تعميمات تطلق على علاقتها .. ولا بأس هنا من مثال آخر .. فخلال نوبة الوله باقتناء الموسوعات وقع في يدي يوما موسوعة رائعة في مجلد واحد عن كوكب الأرض ، وحين جلست أتصفحها فوجئت بانها مطبوعة في اسرائيل وانها معدة رغم احكام معارفها وحسن اخراجها ، على مستوى طلاب المدارس الثانوية هناك ( !! ) و ..

هذا كما انه ليس هناك ما يمنع ان يكون الطفل الذى  
طالعنا بثقافته الموسوعية ورياضته المنهجية فى بداية هذا  
المقال .. ان يكون هو هو بذاته - ان لم يكن شبيها له تمتع  
بنفس الامكانيات - من يدير المعركة الحضارية ضدنا ، ليس  
من موقعه الأوربى القصى فقط ، وانما من موقع أكثر قربا بعد  
أن نرحل الى « أرض الميعاد » التى لم تنقطع عنها قوافل  
المهاجرين الأوربيين .

## من هنا نبدا ...

### الاستفادة من عقل الأمة

المفروض أن المؤسسات العلمية هي الأجهزة المنوعة باستيعاب ابداع المصريين وترشيده . ومؤسساتنا العلمية جزء لا يتجزأ من المجتمع . تقبع معه في خندق واحد ، تحكمها سلبياته ، ويؤثر فيها مناخه العام لكنها مطالبة ( رغم ما تعانيه من أمراض وما يعترضها من عقبات ) برصد المخارج الممكنة من كل مأزق يواجه المجتمع ، في أى من المجالات . والأهم أنه على كيفية أدائها يتوقف مدى تطور المجتمع ، وما يمكن أن يتحقق خلال هذا التطور من أحلام وكوايس . ولما كانت مسئولية مثل هذه المؤسسات تتعقد في ظروف العصر الطافرة ( من طرفة ) يحق لأي مهتم أن يتساءل لماذا تعجز عن القيام بوظيفتها ؟ وكيف يمكن أن تقوم بهذا الوظيفة رغم ما تعانيه من مشاكل ؟ وما هي المنطلقات الأساسية التي تمكنها من الاضطلاع بالدور المنوط بها في حب واستيعاب ابداع المصريين ؟



ولا سبيل الى الحديث عن مؤسساتنا العلمية وأدائها دون  
المسألة بالتغيرات التي تدير الرأس التي تجرى في عالمنا  
ومنطقتنا ، وبامكانات العلم الحديث في نفس الوقت ، ومن هنا  
ضرورة لمسات سريعة تخص امكانات العلم الجديدة والتغيرات  
العالمية والعربية .

يمكن أن نلمس ما أصاب الامكانات العلمية من تغيرات اذا  
عرفنا أن خمس دقائق من التصوير الفضائي اليوم تتيح من  
المعلومات ما تستغرق الطائرات في جمعه عامين كاملين ،  
وما لا ييسر للبعثات المساحية الا فيما يقرب من ثمانين عاما .  
والمعلومات الموجودة في الصور الفضائية ليست ضربة من الترف  
أو الخيال ، فهي تخص مجالات هامة تمس مختلف جوانب حياة  
الانسان ، من طقس الى تربة الى ثروة طبيعية ... الخ . والمهم  
هنا أن الفقراء والمتخلفين أكثر من غيرهم افتقارا - وحاجة في  
نفس الوقت - الى مثل هذه المعلومات ، والحصول عليها  
بالطرق التقليدية اجراء بطيء وباهظ التكاليف ، تعوقه كثيرا  
ظروف التخلف وال فقر وضعف البنى الأساسية ونقص الكوادر  
الفنية ، ناهيك عن طبيعة الصور الفضائية المفصلة ، الخالية  
من عيوب الفسيفساء « الموزايكو » وعن أن تكاليف الحصول  
على المعلومات من مثل هذه الصور الفضائية صارت أقل  
بما لا يقاس مقارنة بالطرق الأخرى .

غير أن وجها آخر لامكانات العلم الهائلة يكشف عنه قول قديم ثاقب للامام الشافعي رضى الله عنه : « مثل الذي يطلب العلم جزافا لمثل حائلب نيل يقطع حزمة حطب فيحملها ، ولعل بها أغمى تلذغه وهو لا يدري » ، والترجمة العصرية لهذا القول يمكن استشفافه مما يشهده عالمنا من طفره في استخدام الحاسبات الالكترونية في كافة مجالات الحياة ، وإن كان من الصحيح أن هذه الأجهزة صارت تحت قدرات الإنسان بملايين المرات فإن بإمكانها أن تكون أيضا وبالا ما بعده وبال ، إذ أنها قادرة على مضاعفة الأخطاء ( التي يجرى ادخالها إليها ) بما يقدر بملايين المرات في الثانية الواحدة !!

ويمكن أن نذهب بهذا الوجه الى مداه اذا تصورا مريضا ، لم تشخص أوجاعه بصورة صحيحة ، يدخل صيدلية تحوى أحدث ما توصل اليه العلم من دواء ، ويمضى في تناول عجائب الأدوية الشافية « كلشكنان » ، فيكون تفاقم الحالة أو الموت لا قدر الله نصيبه ، بدلا من الشفاء .

#### آفاق جديدة للإبداع العلمى :

ولا بأس من أن ندلف بعد ذلك الى لمسة أخرى حول طبائع الإبداع العلمى ذاته . فحتى وقت قريب كان في عداد العاملين بالشركات الصناعية الكبرى كثير من المتخصصين في

البحث أو الابداع العلمى والتطوير • لكنه وسط المباراة  
الشرمة ، التى أخذت بلباب السوق العالمية ، صار تحسين  
وتجديد السلع على نحو مستمر هو العامل الحاسم فى القدرة  
على الوجود والربح •

ونهذا تزايدت ظاهرة ولادة مؤسسات جديدة أكثر امكانية  
والماسا وقدرة على النهوض بدور ادارات البحث العلمى ،  
وتخصصت فى تطوير ما يطلب منها فى أى مجال من المجالات ،  
وهى تؤدى عملا متكاملا حتى تقدم المنتج جاهزاً ، وتجنبد فرقا  
متكاملة ، مجهزة بأحدث أساليب التفكير الابداعى وحته وتعمل  
الواحدة منها ثمانين ساعة أسبوعيا حتى تنتهى من حل المشكلة  
المعينة !!

وظهور مثل هذه المؤسسات يضى على حركة البحث  
العلمى دينامية هائلة ، الأمر الذى دفع عددا من المؤسسات  
الضخمة الى التعامل معها ، متخطية ادارة البحث الموجود فيها  
( آبل ماكتوش مثلا بصدد تصميم الفأرة التى صنعت ثورة فى  
استخدام الكمبيوتر ) • وهناك ملمح آخر يمكن ادراكه من البحوث  
الجارية حول نوع جديد من الطاقة سيكون بمثابة النهاية لكل  
أزمة فيها ، هو طاقة الاندماج النووى • وما يعنينا فى هذا  
الصدد أن الدول المتقدمة كلها تعمل معا متكاثفة فى حل المشاكل



التي تعترض توليد مثل هذه الطاقة ، وذلك لعجز أى من هذه البلدان منفردة عن تحمل الأعباء المالية والفنية الهائلة ، اللازمة لتحقيق هذا الحلم . وهكذا نجد اليابان والولايات المتحدة وروسيا وأوروبا يعملون يداً في يد . ولعل هذه النقطة تكون قد نقلتنا بالفعل الى ما يخص التغيرات العالمية والعربية .

لقد ساهم مجمل أوضاع الابداع العلمى فى تزايد ثقل التكنوقراط واحتلالهم أهمية متزايدة حتى فى أكثر المجتمعات التى كانت تحتفى أياماً احتفاء بالأولويات الاجتماعية والايديولوجية ( الصين والاتحاد السوفيتى سابقا مثلاً ) كما أصبحت المباراة فى التوصل الى التكنولوجيات الحديثة تجرى بكل الوسائل ( صار التجسس التكنولوجى من موضوعات الغلاف الرائجة فى صحافة العصر ) .

وفى عالم مثل هذا لن يكون هناك وجود لمجموعة بشرية لا تدرك ما يدور حولها سواء من حيث امكانيات العلم ، أو من حيث ظروف استخدام هذه الامكانيات . ويمكن ادراك أبعاد الموقف فيما يخص العرب من التطرق الى قول رئيس الجمعية البريطانية لتقدم العلوم فى أحد اجتماعاتها خلال السنوات الأخيرة ، وهو ينتقد بحرارة العلماء والسياسيين البريطانيين لما آل اليه مآل العلوم هناك ، وأيضا من لومة

لهيئات التدريس على دورها في تأخير عجلة التقدم ، ولهايته  
بالحكومة البريطانية أن ترفع من شأن البحث العلمى بتسهيل  
التربية العلمية فى المدارس والجامعات ، ومد يد العون المادى  
والمعنوى الى هيئات الأبحاث والدراسات فى البلاد لوقف تسرب  
علمائها الى الخارج طمعا فى ظروف عمل أفضل ودخل أكبر •

وإذا كانت هذه حالة « بريطانيا العظمى » فلا مجال لتفصيل  
القول فيما يخص العالم العربى الذى تحول على مدى ثلاثين  
عاما من أمة ماردة بالامكانية والحماس ، الى أمة هائلة الموارد ،  
ممعنة فى هدرها ، رغم كونها مهددة بالفناء ( ؟ ! ) من كل  
جانب •

#### مدرسة ابداع قومية :

ومجمل الأوضاع العلمية والعالمية والعربية تبين مدى حاجة  
الأمة العربية الى أن يكون عقلها ( مؤسسات البحث العلمى )  
فى أقصى حالات الاستعداد ، والى أن يعمل هذا العقل فى  
اتاحة أفضل نتاج لما يتوفر لديها من امكانيات ، حتى تخرج من  
مأزقها ناهيك عن تحقيق أحلامها ، وليست هناك حاجة بعد  
ما تقدم الى تبرير التزامنا منطلقا قوميا فى البحث ، وذلك  
بعيدا عن الرومانسيات والتصورات الوحدوية الساذجة ، لأن  
المقصود هنا هو التكامل من خلال التنوع والاختلاف • وان

كان لابد من اضافة هنا فهي أننا نعيش في عالم أعجز الكيانات الصغيرة عن العيش ، مما حدا ببلدان في حجم بريطانيا وفرنسا وألمانيا أن تسعى الى اشكال من التكامل وازالة الحدود ، رغم عدم امتلاكها معشار ما تملكه الأمة العربية من مقومات التكامل ، أو بلوغ حاجتها المصيرية الى هذا التكامل معشار احتياج الأمة العربية له .

ولا يمكن ترك مسألة اعتمادنا المنطلق القومي في الحديث دون ايضاح أن الأمر لا يقتصر على ظروف العصر ، ذلك أن الاستعانة بالخبرة الأجنبية في هذا الصدد محدود القيمة ، فاللهات في اثر المجتمعات الغربية ، الذي كان هدفا مسلما به في فترات سابقة ، أمر ظهر في جلاء ، أنه ليس طريقنا . هذا كما بات من المسلم به أن التكنولوجيا حقيقة اجتماعية واقتصادية وليست حقيقة مجردة . وكل ذلك مما يفرض علينا تجاوز استيعاب وسائل العصر بل وحتى توظيفها المبدع ، الى ابداع ما يخصنا من حلول ووسائل ، وحتى نوضح ذلك لناخذ بعض الأمثلة .

من المسلم به في الأدبيات العلمية الغربية أن الوضع البيئي ( المقصود هنا ارتفاع درجة الحرارة والجفاف ) يضاف على عملية النهوض الصناعي والتكنولوجي ، في بلدان الجنوب ، أعباء

اضافية لا تستوجبها هذه العملية في بلدان الشمال • ويمكن أن تنعكس هذه الاحتياجات في مؤشر نصائي ، هو حاجة الجنوبيين الى قدر أكبر من الطاقة • وهذه المسئلة ( ! ) تنطوي على مفارقات تعرى الامكانية والعجز في نفس الوقت • ذلك أن ارتفاع درجة الحرارة هو في حد ذاته طاقة • وهنا تكمن الامكانية • لكن عجزنا في الجنوب عن استغلال هذه الامكانية هو الذى يكرس ما تروج له الأدبيات الغربية •

وجوهر المفارقة يكمن في أننا نتنظر في موضوع استغلال الطاقة الشمسية ، كعهدنا دائما ، أن يأتينا النخل من الشمال ( الذى يقتصر الى الشمس وبالتالي لا يشكل الأمر أولوية عنده ) ولهذا تبقى انجازاتنا في هذا المجال محكومة بالجهود التى يبذلها الشمال في الفضاء القريب من الأرض في الأقمار الصناعية وسفن الفضاء حيث توجد شمس ( شبيهة بشمسنا ) •

#### الأجانب يعرفون العربية افضل :

وإذا أخذنا دخول عصر الكمبيوتر لوجدنا مثلا فاضحا آخر فجوهر التعامل مع الكمبيوتر هو استرجاع المعلومات ( المخزنا والمعالجة ) منه • ولا يخفى على أحد أن سهولة مثل هذه المعالجا وشيوعها يرتبط بتعريب الكمبيوتر • لكن مفهوم التعريب

انحصر حتى وقت قريب في استخدام لوحة مفاتيح بشكل الحروف العربية ، ذلك بينما تختلف اللغة العربية عن اللغات الأصلية للكمبيوتر اشتقاقا ( أى صرفا ) ونحوا وتشكيلا ودلالة ، الأمر الذى يجعل التعامل الكمبيوترى بأشكال حروف العربية فقط أمر محدود القيمة الى أقصى حد ، قياسا على الممكن عند التعامل باللغة العربية ( وليس حروفها فقط ) . لقد ظللنا نطمح في هذا الصدد أن تصلنا المعارف الكمبيوترية الخاصة باللغة العربية من أمريكا واليابان وبريطانيا . وكأن اللغة العربية يسكن أن تكون بنحوها وصرفها وأشكال كتابتها في متناول هذه البلدان ، أكثر مما هى في متناول أبناء الحجاز ونجد والقاهرة وعمان .

ولا يحتاج الأمر الى الاستطراد في سرد أمثلة فاضحة أخرى لبيان المهام النوعية المختلفة المطروحة على مدرستا القومية الخاصة في الابداع العلمى ، أو للتأكيد على ضرورة هذه المدرسة ، ويمكن هنا النكوص بالحديث من المستوى القومى الى المستوى القطرى . ذلك أن مصر هى البلد المؤهل بإمكانات الحاضر ونيس بالانجازات التاريخية وحدها ، لأن يلعب دورا قياديا في هذا المجال . والأمة العربية ليست في حاجة الى دور مصر في مجال أكثر مما هى في حاجة اليه في دنيا الابداع والعلمى على وجه الخصوص .

### معوقات تعترض الطريق :

ان الإمانة تدعو قبل الحديث عن عقل فومى للأمة  
( مدرسة قومية للإبداع وانبث ) الى مناقشة الظروف اراهنه  
لنؤسات البحث العلمى فى مصر وكل المؤشرات تبين أنها :

✱ نعانى رغم النقص الكبير فى الكوادر من الترهل المعوق  
لأنه حجم غير موظف يختلف عن الحجم الوظيفى الذى يجعل  
من الكبر بل والعلمقة ظاهرة صحية .

✱ تعانى من تخلف الاطارات الادارية التى تكبل المجتمع  
بأسره ، وتستنفد ٨٠٪ من الوقت تاركة البقية القليلة الباقية  
للمعمل .

✱ تعانى من خلط قاتل بين مهمة المبدع ومهمة المايسترو  
ان جازت استعارة هذه المصطلح الموسيقى فى مجال البحث  
العلمى .

✱ تعانى من استنزاف مستمر لأفضل الكوادر العلمية التى  
تسرب الى الخارج طمعا فى ظروف عمل أفضل ودخل أكبر .

✱ تعانى من بقايا القيم والأخلاقيات القبلية والاقطاعية  
والحرفية : برغم قيام أفرادها بعمليات متلاحمة على نحو خارق .  
يحفظون فيما بينهم بمسافات تقدر بالآلاف الأميال ، كل فى واديه  
يعتبر عملة مملكته وملكيته ، وليس هناك خط منهجى حاكم  
الا خط « الأنا » الذى يتغير مع تغير الأفراد .

ذلك اضافة الى أن مؤسسات البحث العلمى فى مصر لاتسلم  
من السمات السلبية للحركة العلمية فى دول العالم الثالث  
عامة مثل :

✽ السرعة التى ينتقل بها الباحث من القرية الى المدينة  
الكبيرة ، ثم الى الاقامة الطويلة فى المدن الأجنبية ، بما ينطوى  
عليه ذلك من مغامرات وجدانية وثقافية واجتماعية ، تنقل  
صاحبها فى الغالب الى صفوف الصفوة التى تعجز عن الاندماج  
فى مجتمعاتها الأصلية على وجه العموم ، دع عنك مجتمعاتها  
القروية .

✽ التبعية لأظمة البحث فى البلدان المتقدمة لأسباب  
مختلفة منها عملية تكوين الكوادر العلمية وميزانية المؤسسات  
ومصادرها . الأمر الذى يؤدى الى الاخلال بالأولويات البحثية  
التي يحتاجها المجتمع .

✽ الظروف الصعبة والميزانيات الضئيلة لهذه المؤسسات ،  
ناهيك عن عدم تمتع العمل فيها بمكانة اجتماعية بارزة الأمر  
الذى يؤدى الى تدنى منفعة الاجتماعية .

✽ التعليم الذى لا يشكل أعدادا مناسبة لمهنة البحث ،  
وتباعد الارتباط بين التخصص الذى يهم المرء والتخصص الذى  
يجد نفسه ملتزما بتأديته ، اضافة الى مفارقة شغل من تخصصوا

في فروع علمية نوعية عشرات السنين للمناصب الادارية التي لا يكونون مؤهلين لها أكثر من غيرهم .

وقبل ذلك كله وبعده غياب الرأى العام الذى يصنع مناخا مواتيا يحسم ديمقراطيا المشاكل التى تواجه مثل هذه المؤسسات .

### الطريق الى الابداع :

وذلك كله يساهم بلا جدال فى حالة الغياب التى نراها للابداع عن الشارع المصرى والعربى عامة ، رغم الحاجة الشديدة اليه ورغم وجود مؤسسات عديدة تحمل لافتاته . ولعله من الضرورى الاشارة الى أن الأمر يحتاج الى ارادة فاعلة قادرة على رسم استراتيجية واضحة ، ترتبط بلحياجات المجتمع ، يقوم فيها هيكل ادارى قادر بتنفيذ خطة سليمة ناجزة ، مع توفير الموارد اللازمة وتهيئة المناخ المناسب ، مع التأكيد على ضرورة أن يجرى ذلك كله وفق تصور قومى الإبعاد وفى اطار دينامى يستوعب المتغيرات دون فقدان للاتجاه .

ومن فضل القول بالتالى التأكيد على أن القضية لا تخص العلميين وحدهم فالمسألة تشغل مساحة هائلة تمتد بين أحلام الأمة فى مستقبلها ، وبين المناخ العام ، ومرورا بنظم التعليم المبنى على التلقين والترديد ، والأعلام والتثقيف و ...



## السادس من أكتوبر

### والأوهام الشائعة حول الإلهام والعملية الإبداعية

هناك أوهام شائعة حول طبيعة الموهبة والإلهام والابداع .  
وهذه الأوهام تخلق حواجز بين الناس والفطرة الإبداعية  
التي خلقوا عليها ، الأمر الذي لابد أن يقودهم الى التبلد  
والمرض بكافة أنواعه ( قسى - اجتماعى - عضوى ... )  
وفهم هذه الأوهام قضية هامة لأنها ضمن معوقات تجلى الثروة  
الإبداعية فى كامل روتها ، وهى الثروة التى وست تقدم أى  
مجموعة بشرية وتميزها على مدار الأزمنة والمصور .  
ولما كانت أى مشكلة من مشاكلنا لن تجد جلا حقيقيا لها دون  
جهد ابداعى ، يجرى فى مناخ ابداعى ، يبرزت أهمية وجود  
تصورات صحيحة عن العملية الإبداعية ولا بأس من أن يكون  
طريقنا الى اضاءة ذلك كله بعض ما حدث يوم السادس من  
أكتوبر ١٩٧٣ .



زعم بعض العرب الأقدمين أن الجن كانوا يسكنون قرى  
عقر • ومن هنا كان وصفهم لكل من يأتي بشيء فذ بالعقر  
قاصدين أن الجديد لا يأتي المرء الا على جناح همس  
« شيطاني » • وبكلمات أخرى أن الانسان غير جدير بالنتائج  
الجديد الفذ ، وأن مثل هذا التناج لابد وأن يسقط عليه مر  
عالم آخر •

ولم يكن هؤلاء العرب شواذ في تصورهم • فقد كتب  
أفلاطون أن الشاعر - شيخ المبدعين - كائن أثري مقدس له  
جناحان ، ولا يمكن أن يدع قبل أن يفقده الالهام عقله •  
أو قبل أن يدركه « شيطان » الالهام بكرمه •

ولا يقتصر هذا التصور على بعض العرب وأفلاطون •  
فكثير من المبدعين يؤكدون ، حتى يومنا هذا ، أنهم ليسوا  
أدوات في عملية الابداع ، وأن « شيطانا » ما يطرق بابهم •  
ويسر اليهم بحلول المشاكل التي توترقهم ، بعد أن يكونوا قد  
فشلوا مرارا وتكرارا في التوصل الى هذه الحلول ، أو حتى  
نسوا النجاح والفشل • وأن هذا الشيطان يزورهم في بعض  
الأحيان وهم في « سابع نومة » ، وفي أحيان أخرى وهم يتجولون  
في الخلاء ، بل ولا يستحي حتى من اقتحام دورات المياه عليهم  
ولمنا نذكر أن « وجدتها • وجدتها » ، تلك الصيحة التقليدية

التى يعلن بها كل مبدع عن فرحته بالوصول الى ما هو غير تقليدى ، صدرت عن أرشميدس للمرة الأولى على باب حمامه ، بعد أن وقع له اكتشافه المشهور .

وبالطبع لا يمكن اتهام المبدعين والنوابغ والعباقرة من « أتباع » الجن والشياطين بالكذب أو الضلال .. كل ما فى الأمر أن ما يحيط بهم من ظروف يجعلهم عاجزين عن استيعاب مجمل ما يحدث فى رحلة - أو دراما - الكشف والابداع . كما يجعلهم ينسون أو يتناسون كل ما سبق محطة الوصول ، ولا يرون ضرورة أو معنى لتقصى ما حدث قبل المشهد الأخير .

لكننا نستطيع ادراك جوهر دراما النبوغ حقيقة من كلام مبدعين غيرهم ، لم تطمس فرحة الوصول أو يطمس تهليل المصنفين رؤيتهم ، فوققوا كثيرا عند الجهد الجبار الذى يقدمونه قربانا « لشیطان » الالهام حتى يشرفهم بالزيارة .

ولا شك فى أن القارئ يسأل عن علاقة كل ذلك بالسادس من أكتوبر والعملية الابداعية . ونحن نرى العلاقة وثيقة اذا أخذنا بعين الاعتبار أن أول المفاهيم التى يجب تدقيقها ونحن نتحدث عن نواصس الابداع هو مفهوم الالهام .. فمن أكثر

الأمر جلاء في هذا السبيل ما حدث فيما يخص فتح ثغرات  
في الساتر الترابي على القناة عام ١٩٧٣ .

وكلنا يتذكر ما كان يقال عن استحالة اجتياز هذا الساتر  
في الظروف القائمة آنذاك . لكن أحد المهندسين المصريين ،  
المهمومين بكيفية اجتياز الساتر ، استفاد من تجربة خبرها قبل  
ذلك في عملية تجريف الصخور بالمياه ( ذات الضغط العالي )  
أثناء بناء السد العالي ، ومن الهم والخبرة مما تولد الحل  
الابداعي الذي أذهل الجميع وهو تجريف أجزاء من الساتر  
الترابي بمياه القناة ، باستخدام طلمبات ترفعها وتكسبها الضغط  
المطلوب .

ولايضاح طبيعة الالهام على نحو أكبر أعود الى موقف  
حدث في فجر اختراع الطيران حيث كان المأخذ الذي يصيب  
هذا الاختراع في مقتل ، هو أن الطائرة سرعان ما تهوى  
وتتحطم بمن فيها ، عند أي خلل يصيب أيا من أجهزتها الحيوية .  
ويومها كان واحد من الرواد الأوائل المبكرين لأجهزة الطيران  
يمضي مهموما بهذه المشكلة ، في طريقة لمشاهدة أحد استعراضات  
الاقلاع والتعطيق والهبوط ، فيما يشبه ملعب كرة القدم ( كان  
الطيران مازال مجرد استعراض وفرجة ) ، ومع كل القلق الذي  
يحصه على الطيارين والهم الذي ينوء به ، طالعه وجه متفرج

بعين واحدة ( أعور ) وللتو برقت في ذهنه المهموم الفكرة « العبقريّة » .. لماذا لا تكون كل الأجهزة الحساسة في الطائرة مزدوجة ، كما هي الحال بالنسبة لعيني الانسان ، بحيث يصاب الجهاز الأساسي بالعطب ؟ ! وكانت هذه هي الفكرة التي فتحت الباب لتحول الطيران من مغامرة غير محمودة العواقب : الى ثورة حضارية حقيقية ، اذ جعلت منه عملية تتمتع بضمانات أمان لا تقل عما يتوفر لغيره من وسائل النقل .

هكذا فان ما نطلق عليه الهاما ليس تجربة بعيدة عن الفهم اذا ما خالصناها من حالات الغموض .. انه تفاعل وتجل لخبرات مفهومة ، فما نطلق عليه الهاما ليس سوى كد مخلص لذهن مهموم بمشكلة يحاول المبدع من خلاله حشد خبرات البشر السابقة ، وتطويرها وتوظيفها لمواجهة المشكلة المهموم بها . لكنه تجل لا بد أن تتوفر لتحقيقه بعض الشروط . والتجربة الابداعية لتجريف أجزاء من السائر الترابي تكشف لنا بعض هذه الشروط على أفضل الوجوه .

ولعل أول هذه الشروط هو توفر درجة من السماح تفتح الباب أمام التعبير عما يجول بالخاطر ( دون خوف ، حتى من التسفيه ) . فلنتصور أن المبدع الذي فكر في نقل عملية تجريف البقايا في السد العالي الى جبهة القتال ، لفتح ثغرات

في السائر الترابي على القناسة كان مجندا عاديا ، وكان أو  
من سمع فكرته ، وفق التسلسل الهرمي ، عرف بالأقدم  
( لا يفك الخط ) ليواجه المجند الجديد برد فعل من قبيل لا  
طالع من البيضة وداخل الجيش أوله امبارح وعاوز يعمل في  
أمير ؟ ! أو حتى أن أول من سمع فكرته كان ضابطا كبيرا  
تمكن من وجدانه أن الأمر يحتاج الى وسائل جبارة والم  
تفكير رتب كبيرة خبرت الحرب ، وتعلمت في أكاديميات عسكري  
أجنبية و ..

من هنا ضرورة جو السماح والاستعداد للسمع ، حتم  
بالنسبة لكلام ربما بدا للوهلة الأولى غير معقول ، وربما كان  
غير محكم .

وبالمناسبة فإن أرقى ما توصل اليه في مجال تنشيط  
الابداع هو تشجيع بعض ذوى التركيبة الذهنية الخاصة على  
التعبير عما يجول بخواطرهم بصدد مشاكل تطرح عليهم  
فجأة ، وعلى أن يقولوا أول ما يطرأ على أذهانهم ، دون تمحيص  
ودون خوف من أن يبدو كلاما فارغا . على أن تجري عمليات  
التمحيص بواسطة خبراء لهم تركيبة خاصة أخرى فيما بعد .

بعد توفر درجة معقولة من السماح يأتي الاستعداد ،  
الحقيقي للحوار . والأهم من ذلك توفير الضمانات لاطراده .

فقد اعتدنا في حواراتنا للأسف الشديد ، أن ينشغل كل منا ، خلال حديث الآخر ، بأعداد ما سيدافع به عن موقفه المسبق ، دون أدنى جهد للتفكير في مدى وجاهة ما يقال . ولا يمكن لحوار أن يضطرد على نحو مثمر دون استعداد لتقويم وجهات النظر الأخرى وتبني ما هو منطقي منها دون حساسية وبعيدا عن رواسب القيم والأخلاقيات القبلية والحرفية ، التي تجعل كل منا يضخم من آفاه دون أن يرى الآخرين ، بالذات اذا كان مسلم الترقى ( غير المبني على أسباب موضوعية غالبا ) قد قفز به بعيدا بحيث يعتبر مجاله — دون حق — مملكته وملكيته .

ان سبيل ازالة الساتر الترابي يوم السادس من أكتوبر لا يلقي الضوء على طبيعة الالهام وشروط العملية الابداعية فقط ، بل وعلى طبيعة الابداع نفسه ، وفهم معنى العمل المبدع — بعيدا عن التصورات الرومانسية والترجسية — على أنه اضافة الى أفكار الآخرين وتطويرها ، فالابداع ليس اختراعا من الصفر ، وليس في المجال العلمي أو التقني وحده وانما في كل المجالات ، ولا بأس من أن نخرج هنا الى ذكر ما يشيع في النقد الأدبي الحديث عن التناص .. لقد امتد مفهوم احالة الرمز اللغوي في النص الى رمز تعبيرى آخر ، امتد ليشمل النص الفني بأكمله ، لأن النص لا يشير الى جوهر بداخله فقط ،

بل يشير إلى نص أو نصوص أخرى في سلسلة لا نهائية من علاقات التناص «intertextuality» أي أن النص الفني يدخل في علاقات تناص لا نهائية مع ما سبقه وما يلحق به من نصوص. هذا كما تكشف تجربة اختراق الساتر الترابي ما يحتاجه الابداع من التراسل بين الخبرات ( من السد الى الحرب ) ومن تجاوز للتخصصية الضيقة ، ذلك أننا نعيش بالفعل عصر ما بعد التخصص لأن مجالات ابداعية جديدة تنشأ نتيجة التزاوج بين مجالات أخرى قد تكون متباعدة .

لقد صارت الدراسات عبر التخصصية «interdisciplinary» من أهم منابع الابداع و « الالهام » . وقد يبدو لذهن غيور أننا لم نعد في حاجة الى أصحاب الفكر الموسوعي ، أو أن زمن هؤلاء الرواد قد ولى الى غير رجعة ، بالذات بعد أن تضخمت المادة المعرفية بصورة تفوق قدرة الذاكرة البشرية ، وتمددت المناهج وتمتدت وتخصصت بصورة يعجز أى عقل على الالمام بها بصورة شاملة لكن نظم المعلومات أصبحت عوناً معقولاً ولم تعد مهمة طالب المعرفة تتمثل معها في تذكر مادته بل في قدرته على الوصول الى ضالته من المعلومات والمعارف . . . . .  
أله بات يستغل موارد ذاكرته بصورة اقتصادية فعالة بأن يفترق المعرفة فيها مقطرة في هيئة منهج وبنى ونماذج ارشادية وعلاقات وتوجهات ومبادئ وحقائق أساسية وحدود واضحة .



وليس هدف المبدع في نشاطه عبر التخصصى الالماس بل  
الموائمة وما أكبر الفرق بينهما ، وفقدان ذلك يؤدى الى أن  
تصبح المجالات العلمية والمهنية والثقافية أشبه بالجزر  
المنعزلة ، وان كان ذلك جائزا في الماضى فلم يعد يجوز في  
هذا العصر ، مع طبيعة المشاكل التى نواجهها اليوم في عالم  
شديد التعقد والتشابك يطرح اشكاليات غير مسبقة ، ومع  
ظهور توليفات علمية ومنهجية مستحدثة ، تستحث الفكر على  
توليد الجديد واعادة طرح القديم .

ان طبيعة العصر قد دفعت بالتلاقح العلمى واقتراض  
المناهج الى مشارف جديدة لم تكن في الحسبان ، ولا بأس من  
أن تكون اللغة مثالنا في هذا الصدد ، فهى أهم مقومات ذكاء  
الانسان كما أنها ركيزة أساسية لوحدة المعرفة ، فاهبك عن  
أن مناهجها باتت تمثل نموذجا معرفيا ارشاديا يمكن تطبيقه على  
ما هو خارج نطاقها ( اللغة ) .

لقد سادت نظرية التطور لداروين الفكر العلمى حتى  
منتصف هذا القرن وظهر معها علم فقه اللغة ليدرس أصل  
اللغات ويقارن بينها ويوصف ويصنف خصائصها وفصائلها .  
مما أطاح الى الأبد بمصر الأحكام القيمة لتقويم اللغات بين  
لغات راقية ولغات بدائية ، وذلك بعد أن زال وهم الرقى الذى

تصوره الأوروبيون عن لغاتهم اثر اكتشافهم أن اللغة الهندية القديمة ( السنسكريتية ) هى أصل هذه اللغات .

ثم ظهر الاتجاه التحليلى فى دراسة اللغة تأثرا بتجربة علم الكيمياء فى تحليل المركبات العضوية الى عناصرها الأولية ، وهكذا تم تحليل الاشارة الكلامية الى فونيمات و ... ثم ظهرت بوادر الاحصاء اللغوى فى نهاية القرن الماضى عندما استخدم لأغراض ذات طابع عملى أكثر منه نظريا ، مثل تحقيق التراث والتحليل الكمي لأساليب الأدباء والشعراء و ...

ولعل ذلك كله يقربنا مما قاله نعوم تشومسكى من أن مدخل حل اشكالية اللغة ربما كمن فى البيولوجى وليس فى المنطق أو الرياضيات !!

الى هذا الحد وصل التلاقح العلمى واقتراض المناهج ما بين العلوم المختلفة التى قد تبدو متباعدة . وهذا يجعل المبدع المعاصر فى حاجة الى حد أدنى من الخلفية المعرفية ، التى تتباين مكوناتها مع المجالات الأساسية لاهتمامه .

تبقى مجموعة من شروط العملية الابداعية أوضححتها بجلاء تجربة السادس من أكتوبر ولا نملك الا أن نمر على بعضها هنا سرىما لاعتبارات المساحة .

منها مثلا أهمية الخبرة العاطفية للتجربة الابداعية فاضافة الى ما وراء الكد من حب عارم يعد عنصرا أساسيا في طريق الكشف ، فالأرجح أن من تقل تجربة التجريف كان قد استهان بتصديقها : كيف يمكن ازاحة الحجر بالمياه ؟ يا رجل قل كلاما غير ذلك ، حتى رأى بعينه ومارس بيده • وكانت هذه الخبرة العاطفية عاملا هاما في تجاوز ما كان شائعا من استحالة التعامل مع الساتر التراي في حينه •

لكن لعل أهم الشروط اطلاقا هو ضرورة اكتمال دائرة الابداع والاستفادة من أفكار الحوار ، ونقلها الى حيز التنفيذ، حتى تشكل حثا ابداعيا متواصلا ( بعيدا عن الهدر والاحباط ) وهنا ضرورة المبادرة الى اشراك الجهات التنفيذية في هذا الحوار ، بل والتشجيع على تكوين أدوات تنفيذية غير تقليدية، والتخلي في ذلك كله بنفس طويل يجعل عملية الوصول بالحوار الى التنفيذ هي المحك والقيصل في أن نكون جميعا - متحاورين أو منفذين - جادين أو هازلين •• وثؤكد على أنه لا بأس طبعا من أن يكون اهتمامنا بمشاكل صغيرة أو جزئية ، فليس السد والحرب وما شابههما من مشروعات كبرى هو المجال الوحيد للابداع ، ولا مجال لخوض ما شابهها دون لياقة ودربة ابداعية لا تأتي الا من الممارسات الصغيرة •

غير أن المبادرات الابداعية المتفرقة لا يمكن في النهاية أن تتحول الى تيار فاعل مطرد له قيمته ، ان لم تستقم منظومة القيم في المجتمع بحيث تصبح القيمة للأتفع « اجتماعيا » ، الأمر الذى يؤدى الى حث هذه المبادرات وتنميتها دوما .

بقيت ملاحظة أخيرة هي أن اختيار جزئية ما جرى في السادس من أكتوبر لاضاءة العملية الابداعية وأوهاها جاء في النهاية بهدف ايضاح ترابط الحث الابداعى على مستوى المجتمع كله ، وما فجره ما جرى يوم السادس من أكتوبر في جميع مجالات حياتنا - بما في ذلك مجال الأدب والفن - من طاقة ابداعية أمر بليغ في جلالة .



General Organization of Alexandria Library (GOAL)  
Alexandria

## التليفزيون والتفكير على الهواء

أين الدورى العام لتحويل الفهولة الى ابداع ؟

لدينا الدورى العام لكرة القدم ، ودورى أندية الدرجتين الأولى والثانية ودورى المدارس والجامعات والدورات الرضائية للصغار والكبار ، ولقدامى اللاعبين والفنانين و... ، ولا تكاد مجموعة من الشباب أو الأطفال تقع على مساحة صغيرة فى الشارع أو البيت حتى تبدأ فى لعب كرة القدم .

فهل يمكن أن يكون لدينا بالمقابل دورى عام لحفز الابداع ؟ .. وهل يمكن أن تكون مباريات هذا الدورى مصممة ومذاعة تليفزيونيا ، حتى تفتح كيارنا وضغائرنا يوما يلعبون لعبة التفكير والابتكار ، كما يفعلون تقليدا لقضائى البرنامج التليفزيونى « بدون كلام » مثلا ؟



المعروف أن الأزمة والحاجة هي أم الاختراع أو أم الابداع . وبهذا المقياس ينبغي أن نكون رأس الأمم المبدعة ، لأنه ليس هناك مخرج من الأزمات التي نواجهها أو ابتعاد عن تفاقمها اذا وقفنا عند الماضي والحاضر . وهذه قضية متشعبة سنقف منها عند زاوية ضيقة وان كانت في غاية الأهمية هي : هل يمكن أن يكون للتلفزيون دور في النهوض بالابداع ، وبالتحديد في حثه وحفزه ؟

صحيح أن الناس تعودوا على التحذيرات من تأثير التلفزيون الضار عليهم وعلى أولادهم .. على وقتهم واستيعابهم ، بل وعلى صحتهم ، وصحة سعادتهم الأسرية ، فاهيك عن البساط الذي يسحب من تحت أقدام ما يرقهم من أنشطة ، و ...

لكن هذه صورة مغلوطة تماما فليست كل البرامج والمواد التلفزيونية كذلك ، لأن التلفزيون صار على الجانب الآخر أعظم وسيلة للتأثير على جميع جوانب الحياة ، ولأن دوره ينمو باطراد .. فكم من طفل — مثلا — يهرنا بمعلومة أو تصرف أو ... ، ونكتشف أن المصدر كان التلفاز .

وقد أدركت تجمعات بشرية كثيرة ذلك فصارت توظف التلفاز في ترقية متفرجها والأخذ بيدهم . وهذه عملية يسيرة

فوق كونها سهلة ممكنة ، فأغلب الجامعات الموجودة حاليا «دقة قديمة» ، بينما الجامعات الحديثة جامعات تليفزيونية مفتوحة ، توفر على الدارسين كثيرا ، لأنها تتيح لهم أرقى المضامين والوسائل التعليمية ، بل وأكثرها إبهارا ، وتجسد هذه الوسائل والمضامين على مدار اليوم ، دون أن تكبدهم عناء الزحام في المواصلات والشوارع والمدرجات ، وعلى أهمية هذا الدور التليفزيونى فهو ليس ما يعنينا هنا ، لأن برامج المدارس والجامعات لم تعد الوسيلة المثلى لاستيعاب التراث الانسانى وتجاوزه ، ولأن ما يعنينا الى جوار حفز الناس العاديين ( المتفرجين ) هو أن هذا التراث ، وفى مختلف المجالات الفكرية والفنية والتقنية ، صار مجسدا بأشكال درامية ومعرفية مختلفة على شاشات التلفاز .

### البرامج الذكية :

وأى مصرى تتاح له متابعة محطة تليفزيونية ذكية لابد أن تزلزله البرامج الكثيرة التى تقدم جماع المعارف البشرية ، والجيد منها لا يقتصر على عرض هذه المعارف ، وانما يقدم منطق تتابع اكتشافات هذه المعارف ، مما يصيب المتفرج بالعدوى ، ويربى قدراته الابتكارية .

وليس هذا فقط ما نعينه ، لأن الأكثر أهمية أن البرامج التليفزيونية لم تقف عند هذه الخطوة الأولى الضرورية لكل

إبداع ، وهي الاستيعاب الجيد للتراث الانساني ، بل سمحت  
الى ان يتخذ بعض لعب وترفيه المتفرجين الوجهة نفسها ،  
فصارت هناك برامج جذابة تشجع الناس على النظر بصورة  
انتقادية للتراث الانساني ، وعلى الاستفادة من هذا التراث  
وتجاوزه .

والمسألة ليست غريبة علينا تماما فقد أطلعنا على أطراف  
منها في برامج خفيفة جديدة يقدمها تلفازنا ، لكن كثيرا من هذه  
البرامج ابتسر التوجه حتى أفرغه من أي قيمة تطويرية  
حقيقية . وقد يتصور البعض أننا أخطأنا العنوان فهذه  
برامج منوعات فكاهية خفيفة . وحث الابداع والتفكير  
لابد أن يكون مسألة « بايخة ثقيلة الدم » يختص بها  
أفراد ثقلوا ... لكن الهدف الأول من حديثنا ليس الا مثل  
هذه البرامج الخفيفة الدم والحضور ، لأنها هي التي  
تناسب طبيعة الابداع الحقيقية ، وليس أحوال متفرجيننا فقط .

وجوهر الأمر هو أن بيت القصيد في سعي الانسان  
وتقدمه له يعد تذكر الانسان للمعلومات المختلفة التي يجاب  
عليها بأدوات استفهام مثل من ( اكتشف ، وفعل ، وقال ، و .. )  
ومتى وأين ، وانما صار هذا التقدم يرتبط بما يجاب عليه



بأدوات مثل لماذا ( اكتشف ، وفعل ، و ... ) وكيف ، لأنها هي التي تحت على التفكير وتقود الى الابداع . وقد يتنا نخطط كثيرا بين التذكر والتفكير ، فحتى برنامج يتخذ من التفكير عنوانا له مثل « فكر ثواني واكسب دقائق » ( وغير هذا البرنامج كثير من البرامج على قنواتنا المتعددة ) ، تدور معظم أسئلته ان لم تكن كلها بعيدا عن التفكير وتقف عند حدود التذكر .. ذلك أن التفكير هو استعمال ما يتعلمه وما يتذكره المرء للوصول الى غاية من الغايات مثل حل المشاكل التي تعترضه و ...

والتخلق والدوران حول أسئلة التذكر أمر عقيم بالذات عندما يقود مع الفهولة الى « فلسفة البرشام » و « قيم البرشام » . ولأن ذلك يحط في النهاية من قدر الانسان الذي وهبه الخالق تاحة من قدراته الخلاقة واستخلفه في الأرض .. يحط من قدره ويسخطه الى « آلة متذكرة » هائفة أو متواضعة الامكانيات والقدرات ، اذا قارناها بالأدوات التي صنعها الانسان نفسه لتساعده على التذكر ، مثل القواميس والموسوعات وبنوك المعلومات و ... وهذا ما دفع الجديرين حقا بصفة « من استخلفه الله في الأرض » لأن يعلموا أولادهم طرق تحرير أمخاخم من تذكر المعلومات حتى تنفرغ للتفكير والخلق .

وحتى لا يكون كلامنا عاما لا بأس من مثال للبرامج التي تستخدم في حث قدرة المتفرجين الابتكارية . وهو ليس برنامجا خبريا كما أنه ليس تمثيلية يشترك فيها ممثلون رئيسيون وأصحاب أدوار ثانوية ، وإن كان يعد وفق سيناريو « ويؤديه » فريق مكون من ستة أفراد يتميزون بالحيوية والثقة ومخاصمة الفهولة ، اضافة الى سعة الأفق والاطلاع ، ويتيح التلفزيون للفريق أن يتبارى مع فرق شبيهة ومع الجمهور أمام شاشته ، في لعبة تعد بروفة لعمل القدرات الابتكارية التي نحتاجها لمواجهة مشكلات الحياة .

يجلس الفريق حول مائدة مستدير وسطها روليت يحدد للفريق سؤالا بين أسئلة أختيرت من أسئلة أرسلها مشاهدوا التلفاز أنفسهم . ويكون على الفريق أن يجد بمجموعه اجابة عن السؤال خلال دقيقة واحدة أمام حكم يتدخل عند اللزوم ، ويفوز السائل بالجائزة ان أخفقوا بينما يفوز الفريق بنقطة فوز تحسب له في نتائج الفرق الأخرى اذا نجح في الاجابة .

قدرات التفكير الابداعي :

لكن لماذا يتكون الفريق من ستة لاعبين على وجه التحديد ؟ بتحليل الممارسة الابداعية الجماعية وجد أنها لا بد أن تنطوي على :

- من يلعب دورا أساسيا في تحليل المشكلة بنفاذية ، بحيث يمكن الوقوع على الجوانب الأساسية فيها .
- من يلعب دورا أساسيا في لقاء الأضواء المعرفية الصحيحة على هذه الجوانب بحيث يكون هناك تصور واضح وصحيح للمشكلة قبل البحث عن حلول لها .
- من يلعب دورا أساسيا في توليد الأفكار والبحث عن البدائل والامكانيات .
- من يلعب دورا أساسيا في أبعاد التفاصيل وإبراز النواقص والسلبيات فيما يطرح .
- من يلعب دورا أساسيا في تحفيز ما يجرى ورؤية الجوانب الواعدة فيما يطرح ، ويدفع الى تطويرها .
- ما يسترو قادر محنك مسئول حازم يدير عملية التفكير ويتحكم في معالجة ما يطرح من توجهات للوصول الى حلول .
- وجد أن توفر هذه القدرات ضروري لانتماء هجوم عقلي كفاء ، في أقل وقت لحل أية مشكلة ، وهكذا استقر الرأي على أن يتكون الفريق من ستة أفراد . ويأجذا ان برع كل منهم في أداء احدى الوظائف السابقة لكنه ليس بالضرورة أن يظل شخص ما يقوم بالوظيفة نفسها ، فيمكن أن يكون لدى

هذا الشخص معلومات تؤهله لأن يلقي أضواء معرفية صحيحة على موضوع ما . وأن يكون لدى شخص آخر معلومات عن موضوع ثان ، تؤهله أن يلعب هذا الدور فيما يخصه . . ويمكن قول الشيء نفسه عن يقوم بدور المايسترو أو الناقد أو . . . أى أنه يمكن للأفراد الفريق أن يتبادلوا الوظائف كما يحدث بين لاعبي كرة القدم في الملعب ، وفق ما تطلبه كل مباراة أو فترة بعينها من المباراة . . فالمهم أن يؤدي الفريق كل وظائف التحليل والتفكير والانتقاد والابداع الجماعى معا بصورة متوازية ، وأن يمتلكوا القدرة على الحوار الإيجابى الفعال من أجل الوصول الى هدف مشترك . . وطبعاً يبلغ الفريق القمة ان لعب على طريقة الكرة الشاملة التى يجيد كل لاعبي فريقها اللعب فى كل المراكز .

وبالطبع يلعب الحكم دوراً إيجابياً فى المباراة . قد يسأل ان كان الفريق متأكداً من اجابته ، وقد يسأل ان كان الفريق يريد التفكير مرة ثانية ان لم يكن استنفذ الوقت المحدد ، وقد يقرر زيادة هذا الوقت . وقد يقاطع ويجبر من يجيب على المباشرة ان حاول التلاعب فى الاجابة ، أو صياغتها فى غموض ، أو . . .

كما أن الأمر يحتاج فى بعض الأحيان الى من يحلل للمشاهدين مادار أمامهم بين لاعبي الفريق : كيف أن الخطوة

الأخيرة للتفكير المنطقي لم تسعفهم ، أو كيف أعاقهم الانفعال العاطفي عن تحقيق الهدف . أو كيف تقاعس صاحب الفكرة الصحيحة - أو مفتاح الحل الصحيح - خلال المناقشة عن تسليم دفة القيادة فخر الفريق أو ...

### لعبة التفكير :

ولعبة « التفكير للابداع » على هذا النحو لعبة حية مشوقة ، تشبه في تكوينها من حيث كثافة المفاجأة الدرامية مباراة كرة القدم ، فلا أحد يعرف أى سؤال سيختار الروليت، ولا ماذا سيحدث خلال عملية التفكير الجماعية في اللحظة التالية، وما هي الواجهة التي ستخضعها المسألة المطروحة ، لأن كل شيء يجرى « على عينك يا شاهد » أمام المتفرج : كيف تولد الفكرة وكيف تتخلق ، وهي دائما عملية مثيرة جدا ، لأن نطاق القضايا التي يمكن أن تطرح هائل .. ومع الزمن يمكن أن تتناول اللعبة كثيرا مما هو غامض ومثير وملغز في الحياة ، مما يجب التفكير بصدده ، ذلك أن المتفرج هو الذي يرسل الأسئلة ، كما أنه لن يكون متفرجا في حقيقة الأمر .. فعند متابعة مباراة لكرة القدم لا يستطيع المشاهد النزول الى الملعب والمشاركة في اللعب ، ولكنه في مثل هذه الترامج يستطيع أن يشارك بالفعل لأن العملية تحت المتفرج على التفكير مع الفريق،

وتطلعه على طريقة التفكير ، ويمكنه ابداء تعليقاته لمن حوله  
لحظيا ، أو في بريد البرنامج لاحقا ، كما أن كون الجمهور هو  
صاحب الأسئلة يحمي مثل هذه المباريات من التغريب والابتعاد  
الى عوالم لا تهمه ، وقد تكون مقطوعة الصلة باحتياجاته  
وبالتالى بتطوره .

وتكمن الفائدة الجمة ، فى أن المرء لا يمكن أن يكون عارفا  
بكل شئ ، وبالتالي لابد من طريقة للوصول الى ما لا نعرفه  
وتريسة القدرات والخبرات التى تساعدنا فى الوصول الى  
ذلك ، لنجدها شبه جاهزة ، فى حالة لياقة معقولة ، عند مواجهة  
مشكلات حقيقية ، كما تكمن هذه الفائدة فى أن الذى يتعاون  
على اجابة السؤال فريق متكامل ، وهذه هى طبيعة السلوك  
المعاصر لمواجهة أعباء الحياة .

والطريف أن الشئ الرئيسى عند اختيار أفراد الفريق ليس  
القدرات التى سبقت الاشارة اليها ، أن أهم ما يراعى عند  
الاختيار يمكن أن نستشفه من الطريقة التى يجرى بها ، اذ يقف  
الأفراد فى حلقة حول شخص مغمض العينين يعرفون أنه سيسقط  
على الأرض خلال دقيقتين . والشخص الذى يرشح لدخول  
الفريق هو من يستطع اللحاح به . اقامته قبل السقوط . وقد  
لوحظ أن أفضل من يقوم بذلك غالبا ما تنجح فى ادائه المهمة .

الصغير .. وبالطبع يعمل الفريق بعد ذلك على حث قدراته المختلفة ، وعلى التدريب المستمر ، وعلى ...

ورغم أن الاسئلة التى تطرح فى مثل هذه البرامج ستختلف من مجتمع الى آخر ، لأن الناس هم الذين يرسلونها ، الا أنه يمكن أن نضرب أمثلة من مجالات متباعدة يمكن أن تجعل الصورة .

✽ معروف أن الموائل تتحرك من المستوى الأعلى الى المستوى الأدنى . من فضلكم تناولوا آكواب الشاي الموجودة أمامكم ، وحاسبوا من سخوتها ، ثم أجبوا عن السؤال التالي : كيف يدخل الشاي فبك وهو أعلى من مستوى الكوب؟ وهل للسخوة دخل فى الأمر ؟

✽ كل منكم سافر بالقطار أو المترو أو الترام .. عند الدوران يكون فرع القضيب الخارجى أطول من فرع القضيب الداخلى .. كيف تعبر المركبة الدوران اذن ، رغم أن المحور بين كل عجلتين ثابت والمسافة بينهما لا تتغير ( مما يعنى أنهما لابد أن يقطعا مسافة متساوية ) .

✽ ما هو الشيء الذى يكبر كلما أخذنا منه ؟ ( الحفرة ، العمر ... ) .

ولن أخوض في الاجابة لأن الأمتع والأفنع هو كيفية الوصول اليها .. كيفية تنحية المشوشات وتحديد الفكرة الرئيسية و ... مع العلم ان المطلوب يكون كلاما منطقيا وعلميا سليما « لا تخر منه المياه » .

تبقى في النهاية ملاحظتان الأولى أن هناك ألف سبب وسبب يقف وراء ضعف النتاج الابتكاري لمجتمع من المجتمعات .. وألف عائق وعائق تقف في طريق أن تؤدي هذه المؤسسة المنوط بها حث الابتكار واستيعابه ، أن تؤدي وظيفتها ، لكن أهم هذه العقبات أن يشيع تصور أنها مؤسسات للصفوة لا تتصل بما يجري في المجتمع وفي عقول الناس حولها . وفي عصر الاتصال صار موجودا ذلك الطريق الملوكي ، الذي لا يمكن أن يقارن به دور بيت أو مدرسة أو جامعة للتأثير في طريق تفكير الناس ، وفي اعدادهم ليكونوا راندا للطاقة الابتكارية للمجتمع .

أما الملاحظة الثانية فهي أنني لا أقترح دورى « التفكير والابتكار » بديلا عن دورى كرة القدم فأنا من محبيها ، ولا أشارك من يدينون ولم الجمهور بها رأيهم ، انطلاقا من هذا الحب الجماهيري الجارف على مستوى العالم كله ، الأمر الذي لا يمكن أن يكون خلوا من المعنى .



لكن جبي لكرة القدم لا يمنعني ، وأنا أرى هذا الولع والتقليد الواسع للعبة مثل « بدون كلام » ، من التساؤل : أين الدوري العام لحفز التفكير والابتكار والابداع ؟ يا حبذا لو بدأ التلفزيون بفريقين يتتمان للأهلى والزمالك لعبة الابتكار التى فصلناها . آتشد لن يطول الزمن حتى نجد اهتماما واسعا ، وفرقا كثيرة ، وربما دورى عام للتفكير والابتكار بالفعل ، لأنه ليس بالكرة وحدها يحيا الانسان .



## الظاهرة الادريسية الشفيقية

الايدز القيمي وهند النبوغ

بالمرة ليس ما يهنا من فصول الواقعة الادريسية الشفيقية،  
التي شهدتها حركتنا الثقافية يوما ، أى الرجلين سجل هدفا في  
مرمى الآخر ، وتحت أى أضواء ، ووسط أى تصنيف ؟

وان كان يهنا ألا تضيق عبثا جهود يقوم بها نابغ مثل  
أحمد شفيق ، والا تستهلك المية نابغ مثل يوسف ادريس ؟  
ولذا كان ذلك يهنا بدرجة فان ما يعيننا في الأساس هو كيفية  
حماية التجليات الابداعية الصحيحة لآلاف المبدعين والظروف  
التي تساعد على أن يرى المجتمع أصحابها ، ويحتضنهم ويقدرهم  
بصورة صحيحة ، ليخطو بهم وعلى أكتافهم ، الى آفاق العصر .



خلال جولة ليلية باحدى المدن الاوربية المعروفة بباع طويل  
في التحضر فوجئته بكيان بشرى يضيء ويطلق . وتبرق ثنيات  
جسده ، في ايقاع متناغم ( على طريقة الاعلانات الليلية في المدن

الصاحبة ) • وذلك عن طريق لمبات صغيرة ملونة - من ذلك النوع الذى يستخدم فى تزيين أشجار أعياد الميلاد - مثبتة فى ثنايا الجسد وعلى محيطه •

وحين دقت النظر فى الجسد المكهرب البارق هالنى الجمال الأسر ، ناهيك عن العود السهرى لصاحبه ، ورغم انى شكرت للأنعام الضوئية ما أفاحت من فرصة للرؤية العابرة ، التى كانت ستفوتنى حتماً ، فإن الظاهرة شغلتنى حتى طرحتها خلال حلقة درس فى علوم النفس فقاجأنى الحضور بدراسة أحصت عدد الانطباعات والمعلومات التى يتعرض لها قاطن مدينة متوسطة الحجم خلال يومه ، واتضح انما تفوق بآلاف المرات الانطباعات والمعلومات التى كانت تعرض لآبائنا وأجدادنا ( وربما أترابنا الحاليين فى بعض القرى ) • والمهم أن هذا الفيض من المعلومات والانطباعات أدى الى إصابة الناس بالتخمة المعلوماتية، فصاروا يملكون الكرام « بمصادر المعلومات » !! دون أن يلتفتوا اليهم أو يروهم ومن هنا شاعت بين الناس فى المدن الأوربية الكبيرة ، التى يقابل الناس فيها بعضهم دون رؤية ، ظواهر تبدو غريبة ، مثل ظاهرة الملابس البارقة هذه ، كاقبال الجنسين على اعلانات نوادى التعارف ( رغم ظروف السماح بل والاباحة ) ، وعلى برامج محاضرات وأدبيات أصول

العلاقات الشخصية ( أو البينشخصية ) وكيفية لفت أنظار الآخرين توطئة لكسب اهتمامهم وتقديرهم .

وأمر ظواهر من هذا النوع مفهوم فينب احتياجات الانسان الأساسية احتياج الى أن يراه ويقدره الآخرون .

ادريس وشفيق نابغان :

ولعل القارئ يسأل : لكن ما دخل ذلك كله بالظاهرة الادريسية الشفيفية أو بالأيذر القيمي وهدر النبوغ كما جاء في عنوان هذه الدراسة ؟

وهنا استأذن القارئ في أن أفرغ ابتداء من بدعيتين ، الأولى هي ان يوسف ادريس أديب نابغ ارتبط اسمه بتحويل مجرى القصة العربية القصيرة ، كما ساهمت « فراقيره » في صنع زلزال ضرب كيان المسرح العربي ، فلم يسلم حتى يومنا هذا من الهزات الخلاقة .. والثانية هي أن الدكتور أحمد شفيق جراح وعالم نابغ ، على الرغم من بعد نتاج عمله عن الجمهور وذلك رغم « الصورة » التي رسمها له يوسف ادريس ، وما راح يصفه عليه من « قدرات خارقة » على تكوين الجمعيات الطبية العالمية ، والانضمام الى هيئات رئاستها ، والالتحاق بأسرة تحرير المجلات الطبية ، ودفع الآخرين الى التنويه باسمه في الكتب الطبية الأكاديمية حتى تروج كتبهم .. وحتى الذهاب الى

الرئيس موبوتو سيسكو واقناعه بقدرته على تقديم « مسرحية عالمية » عن دواء للايدز ، تذاع على العالم بالاقمار الصناعية ، لمجرد الاستهلاك المحلي في زائير .. أقول حتى لو سلمنا بهذا التصوير لقدرات أحمد شفيق - رغم أن وصفنا له بالنبوغ يرتكز على تجليات صحية وصحيحة للنبوغ يتمتع بها الرجل فعلا - يمكننا فهم مدى امكانيات الرجل وقدراته »

ولا أعتقد أن ظاهرة سهرية العود الثلاثة تظل بعد ذلك على خصامها للظاهرة الادريسية الشيفية .. فإن كان لدى الانسان العادى حاجة - يمكن أن يمرض لو لم تلب - الى أن يراه الآخرون ويقدروه ، فما بالناس بحاجة ملكات الجمال والتوانع على اختلاف أنواعهم ؟

وهذه الحاجة من الظواهر الصحية التي تهيد المجتمع ، ناهيك عن النابغ . في ظروف تبني بدرجة بمقولة منظومة قيم ( وقيمة ) تحتفى بالعلم والعمل ومكارم الأخلاق ، اذ تجعل من الشوفان والتقدير ، والسعى الى الشوفان والتقدير الأكبر ، حافزا ودافعا للتقدم ، لكن المشكلة - في اتصال بهذه الحاجة - يمكن أن تحدث اذا صارت الشيكات أضعف من الدرجات العلمية ومن النبوغ الأدبي ، ولم تعد المؤلفات والأبحاث هي مصدر الأرصدة في البنوك ، أو على صفحات

الاعلام ، ذلك ان حاجة النابغ الى الشوفان والتقدير ، وسعيه اليهما ، يمكن أن يقوداه الى استعراضية مقيته ، ناهيك عن احتمالات ضياع أعمال النبوغ الحقيقي وسط أعمال الرواج مهما كان تهافتها .. وحتى لا يبدو الكلام ضربا من التعميم لا بأس من بعض التفصيل •

### الهجوم الدماغى والابغاعى :

لقد قنن العلم خلال نصف القرن الأخير طريقة تستخدم فى التوصل الى حل للمشاكل العويصة عن طريق جمع أكبر عدد من الأفكار المبتدعة ، دون تمحيص ، لمجموعة مختارة من الناس .. وهى طريقة راقية يحاول بها الانسان أن يتجاوز عوائق تأطير التفكير ومنهجه ، ذلك انه يكاد يكون لكل مشكلة يواجهها الانسان ، فى عصر القضايا المتداخلة والمتشابكة ، اطارها الخاص ومنهجها الخاص .. ولهذا صار الهجوم أو العصف الدماغى (brain storming) يستخدم بصورة مكثفة لحث الابداع فى كافة المجالات •

ويوسف ادريس يفكر بطريقة تشبه هذه الطريقة التى أظن أن تناجها يخلق الى ذرى عالية - حين يقوم عليها واحد وحده - فى مجال النتائج الأدبى ، ذلك أن جوهرها هو ادراك الحقيقة فى تشابكها بعيدا عن المناهج والأطارات الجاهزة

والجامدة . ومن هنا نتاج يوسف ادريس الابداعى السامق ..  
من « أرخص ليال » وحتى « العتب على النظر » ، مروراً  
بالحرام والآى آى والقرافير ومسحوق الهمس وبيت من لحم .  
لكن نتاج هذا الأسلوب فى التفكير يحتاج بعد الاجتياح  
الأول الى موجات متتالية من التمحيص والاختبار على محكات  
مختلفة ، وفى حالة النتاج الأدبى ، الذاتى بالضرورة يكون  
النتاج أقرب الى دائرة الابداع الحقيقى كلما اقتصرت  
المراجعات على بناء العمل ونسيجه .. ذلك بينما تتهدد نتاج  
تمحيص الهجوم الدماغى ، مطبقاً على القضايا العامة ، بنفس  
أسلوب الأديب ، مزائق كثيرة .. ولا بأس من استشراف آفاق  
هذه المزايق من مثالنا التطبيقى ، ولا بأس من أن تكون بدايتنا  
مع معارف مرض تقص المناعة المكتسبة « الايدز » المحور  
أو الشرارة التى فجرت الواقعة .

لقد كتب يوسف ادريس فى اطار هجومه الدماغى :  
« يقول الدكتور - المقصود هو أحمد شفيق - انه جرب  
الدواء على الحيوانات ، معنى هذا ان هذه الحيوانات لا بد قد  
حقنها بفيروس الايدز » .. ولست أدري من أين جاء  
يوسف ادريس بهذا الاستنتاج القطعى فليس من الضروري  
أن تكون التجارب ( وحتى العلاج ) على فيروس الايدز ،



فقد اعتمدت لجنة صناعة الدواء السوفيتيه ( وهي لجنة علمية على مستوى الدولة ) استخدام عقار كان قد صنع أساسا لعلاج الانفلونزا ( وهي مرض فيروسي ) لمكافحة الايدز، وذلك في اطار سياسات علاجية عالمية تعتمد على استخدام منبهات جهاز المناعة ، مثل الاترفيرون وغير الاترفيرون .

هذا كما ذهب يوسف ادرس الى « ان المشكلة في مرض الايدز مشكلة خطيرة جدا ، بل تتعلق بأصل نشأة الحياة على ظهر الأرض ، مثلها مثل السرطان .. وعاد يؤكد بعد سطور : « المشكلة معقدة جدا ، ولن تحل الا بحل ذلك الطلمس ، كيف ترمج الجزيئات الحية من ميكروب الايدز نفسها وتعيد برمجة نفسها وهذا لا يمكن أن يكتشف الا باكتشاف كيف تتحول البروتينات العادية الى بروتينات حية ، وتلك هي معضلة العلم ، أو كما يقولون كشف سر الحياة ، المسألة ليست سهلة أبدا » .

وقد يكون صحيحا أن نقول ان الوقت مازال مبكرا لاكتشاف دواء لعلاج الايدز علاجا كاملا ، أو ان نقول لهذا الدواء أو ذاك « لا » .. لكنها مبالغة أدبية معوقة ( وربما تنصل من المسؤولية ) ان نقول ان اكتشاف دواء الايدز غير ممكن دون اكتشاف سر الحياة ، بالذات وتغيير كل الفيروسات

« لأغلقها » من المسلمات التي لم تمنع من الكد في البحث عن علاج لها .

ويمضي يوسف ادرس في هجومه : « ان أمريكا تنفق أكثر من ثلاثين مليار دولار على أبحاث السرطان وعشرات المليارات على أبحاث الايدز ، وأبحاث الايدز لا يقوم بها الأطباء فقط وانما تشترك فيها أقسام بأكملها من علماء الوراثة وعلماء الهندسة الوراثية .. كل هذه المعامل والعلماء يستطيع النابغة أحمد شفيق وهو جالس في عيادته الفاخرة في القاهرة ان يلقي عليهم وعلومهم وأبحاثهم بجرة قلم وان يتفقد ذهنه عن علاج شامل ناجح لمرض الايدز » .

ولعله من المناسب هنا الاشارة الى اننى قد اخترت توصيف أسلوب تفكير يوسف ادرس بصورة تقريبية ( يشبه الهجوم الدماغى ) عن قصد ، لكى ابين - على نفس الأسلوب - المأزق الذى يواجه أحمد شفيق ، وكل أحمد شفيق .. لقد برز هذا الأسلوب الابداعى مع مرحلة التشابك البالغ الذى دخلته معارف البشرية ، مما ضيق كثيرا - ولا أقول النى - من فرصة الفرد فى الابداع العلمى ( بل والفنى : المسرح والسينما والتلفزيون ) اذ صار الابداع ليس عملا جماعيا فقط ، وانما لا ناس مختلفى الوجهات المعرفية أيضا .

وكان يمكن الاتفاق مع يوسف ادريس في قوله السابق  
لولا ما ذكره حول اتفاق أمريكا بمليارات الدولارات .. ذلك  
أن هناك مجموعات علمية تحقق اجازات كبيرة بصرف النظر  
عن هذه المليارات ، ولولا ما ذهب اليه ساخرا من قدرة  
النايعة أحمد شفيق ان يلغى عملهم .. ( ما وجه الالتقاء  
يا ترى ) .. لقد استغل يوسف ادريس مبالغة وقع فيها  
أحمد شفيق فعلا سنفصل الحديث عنها بعد قليل .. لكن  
الصواب لم يحالفه ، كما هي الحال بالنسبة للسقطة التي جره  
الهجوم الدماغي اليها حين كتب : « ان من المؤلم تماما أن  
يحدث هذا كله دون أن تتحرك وزارة الصحة بل ووزارة الداخلية  
للتحقيق مع الدكتور أحمد شفيق ولو على الأقل بتهمة دخول  
الأراضي المصرية بعد أن عاش في منطقة موبوءة بالايذز » .. ذلك  
انه يفوت يوسف ادريس هنا ان عالم اليوم صار عالما مفتوحا،  
وأن كثيرا من المصريين يذهبون كل يوم الى مناطق موبوءة  
وان حدودنا ليست استثناء من هذا الافتتاح العالمي ،  
ويدخلها يوميا آلاف الناس ، بينهم الأفاقون والعابثون ، ممن  
لا يستبعد أن يكونوا قد احتكوا بمرض الايدز هنا أو هناك ..  
فلماذا يا ترى تحقق وزارة الداخلية !!! مع أحمد شفيق بالذات،  
وربما كان احتمال الإصابة بالنسبة للآخرين أكثر مما هو  
قائم بالنسبة له !!!

### القضية اكبر من معارف الايلز :

لكن ليت المسألة في الواقعة الادريسية الشفيعية تقف  
عندما يخص معارف الايلز وحدها .. وتكفى نظرة الى ما أثر  
حول عملية زرع المثانة ودواء الروماتويد لايضاح ذلك  
فيوسف ادريس كتب ان الدكتور شفيق « ارتكب جريمة اقتلاع  
مثانة انسان ميت واستأصل مثانة مريض حي وركب المثانة التي  
كانت خلاياها قد ماتت ، وطبعا حدث التقيح ومات المريض ..  
وتشكل مجلس تأديب ، وكان رأى المجلس فصل ذلك الطبيب  
وهي أقل عقوبة ممكنة لقتل مريض عن عمد .. ولكن هكذا  
نحن المصريين قالوا : انه شاب وانه في مستهل حياته واكتفوا  
بالخصم والاذار » .

ذلك بينما يرد أحمد شفيق ( صباح الخير ٧/٢١ )  
« أنا أول انسان يقوم بزرع المثانة لمريض سرطان بعد ابتزاع  
مثانته ، وفعلنا أجرى معي تحقيق وكانت النتيجة مشرفة .. لقد  
أثبت التحقيق اني أضفت الى تاريخ العلم عملية زرع المثانة  
فالتحقيق المشار اليه كان وساما أعتر به وليس عقابا .. » .

وفيما يخص دواء مرض الروماتويد كتب أحمد شفيق  
( الأهرام ١/٢٥ ) لقد جاء في نتيجة مجلس تحقيق جامعة  
القاهرة - وقد استمر التحقيق سنتين كاملتين - الصادر في

١٥ ابريل ٨٧ : « قرر المجلس براءة ده أحمد شفيق مما نسب  
اليه » •

وذرت الحشيات أن اللجنة التنفيذية لدواء الروماتويد  
المشكلة بناء على قرار اللجنة العليا للأدوية في جلستها  
( ٨٥/٣/١١ ) برئاسة رئيس هيئة الأدوية انتهت الى ايجابية  
مرحلة الأبحاث قبل الاكلينيكية التي أجريت على الدواء ••  
وتوصلت اللجنة البحثية التنفيذية ، برئاسة أ. ده محمود  
درويش نائب رئيس جامعة القاهرة وعميد كلية الصيدلة في حينه،  
والتي تضم أساتذة من كليات الطب والصيدلة ، والمركز القومي  
للبحوث وبعد أبحاث ستين كاملتين ان الدواء له أثر مضاد  
للموماتويد ، وأثر مانع للالتهابات وليست له أية آثار جانبية ••  
وينكص يوسف ادريس بعد النتيجة التي ذكرها ده أحمد شفيق  
وينشر ملخصا لمحضر اجتماع ، جاء في بداية التحقيقات السالفة  
الذكر ، وفي المحضر ما فيه ، مما يستشهد به يوسف ادريس على  
هروب أحمد شفيق من مواجهة العلماء •

والمسألة هنا ليست في جدوى أو عدم جدوى دواء  
الروماتويد وليست في الخلاف حول صحة عملية زرع المثانة  
في حد ذاتها •• ذلك انها تطول هية ومصادقية وحول وطول  
ومنطق الجامعة والمؤسسات العلمية ، بل والعلماء المصريين

جميعا .. فان كان أعظم عمداء كلية الطب ، على حد تعبير يوسف ادریس ، قد أوقف ده أحمد شفيق يوما عن العمل ، فلماذا أعاده وحال الدواء كما يذكر يوسف ادریس ؟ وهل يمكن التعويل على كلام « عالم » يقول في طيب قتل مريضا - وفق اعتقاده - « انه شاب في بداية حياته .. » ، أو على سيول « القيل والقال » مع اختلاف مشارب وأهواء مصادرهما .

### الخلل في دنيا الكتابة :

ومع الأسف لا يقف الأمر عند حدود المؤسسات العلمية فالمعالجة الصحفية للموضوع تكشف عن فضايا جديدة .. وإذا ما تخطينا ما كتبه يوسف ادریس من ان « نفرا من أطبائنا دأبوا غنى أن يكون لكل منهم رجله أو سيدته في هذه المجلة أو تلك ، في هذه القناة أو تلك يوالى نشر أخباره ، بنقوده مرة أو بدون نقود ، بتوصية على الابن أو البنت مرة الطالبة في كلية الطب أو جبر المحروس أو المحرومة » .. اذا ما تخطينا ذلك من أمور ليست مسوى تساج للايدز القيمي ( الذي ستحدث عنه لاحقا ) الى مسائل أكثر التصاقا بمهنة الصحافة، كان لابد من أن يثور أماننا سؤال عن الملابس التي جعلت أحدا من الصحفيين الذين تحاوروا مع أحمد شفيق على كثرتهم لا يتطرق الى سؤال واحد يمكن أن يكشف عن أبعاد ما فعله أحمد شفيق :

— على أى فيروس تمت مرحلة الأبحاث ؟  
— ما اجراءات الوصول الى دواء جديد وما هى امادها ؟  
— ما فترة الحضانة لفيروس الايدز ؟ وعلى مصابين فى  
أى طور جرت التجارب؟

— ما آجال عيش المصابين ، وهل يمكن أن يعود الفيروس  
الى الكمون بعد فترة من النشاط ؟ وما آجال هذا الكمون  
وما علاقة ذلك ، بآجال أى اختبار كلىنىكى للدواء ؟ ..

كيف تجاوز الجميع مثل هذه الأسئلة واكتفوا بما يشبه  
تفريغ شريط أو بيان عن أمجاد أحمد شفيق فى الموسوعات  
والكتب العالمية والمؤتمرات الصحفية ، متخطين الشق الأساسى  
الذى يجب أن يوضحوه للناس ، عند الحديث عن « اكتشاف »  
علاج لمرضى الايدز .

هذا بل انى محاور مدرسة « يقود الحوار الصحفى بعفوية،  
وحتى يحصل بعفوية مطلقة على الاجابة غير المصنوعة  
أو الجاهزة » .. هذا بل ان محاور مدرسة مثل مفيد فوزى  
جلس كالتلميذ المطيع يسجل ما يقوله أحمد شفيق ناسيا أجندات  
الحوار ، ناهيك عن سجانا التحقق الدرامى ، بما يمكن أن  
يكشف عنه من وجوه مختلفة للقضية المطروحة .

ان ذلك كله يكشف عددا من القضايا التى يجب الوقوف  
عندها .

### اعداد الصحفي وصناعة القيم :

ولا يقتصر الدرس المستفاد على انه لا يكفي الاعتماد على المتخصص مهما علت مرتبته وتحول الصحفي الى آلة تسجيل .. اذ لا يمكن أن يؤتمن المرء على الوظيفة الاعلامية ( وهي رسالة ومسئولية في الأساس ) دون حسن وضمير تقديرين ، بعالج من خلالهما ما ينقله للقراء ، ولا يمكن أن يكون لديه حسن تقدي دون المسام بالمجال الذي يدور الحديث عنه .. ولا يقتصر الأمر على تهافت معتقدات شائعة بأن عمل الصحفي يمكن أن يكون مجرد نقل ( وليس تمحيص ) مزيد من المعلومات أو تفاصيل أى خبر تطالعهم به الصحف ، ولا على تأكيد التصورات التي ترى ان حرية الصحافة أمر لا يمكن فصله عن المسؤولية القائمة على المعرفة .

هذا كما لا يقف الأمر عند أزمة التصورات التي لم تستوعب ما يفرضه العصر من تغيرات في تكوين الصحفي الذي يكتب في مجالات العلوم ، ذلك انه يمتد الى أزمة الأعداد العلمية للصحفي ( أى صحفي ) في مصر .. فهما أجدا في تدريبه على وسائل التوصيل في كليه الاعلام ، التي تقبل طلابها بعد الثانوية العامة - وهؤلاء هم القطاع الأساسي الذي يرفد به جيش الصحفيين - لا يمكن أن يؤدي الخريج وظيفته على نحو سليم ، لأن الحس النقدي الواجب أن ينظر



به الى أى كلام كان ، لا يمكن ان يتربى على نحو صحيح الا من خلال معارف منهجية ، ولست هنا بصدد بدعة جديدة فصدق الامام الشافعى الذى قال : « مثل الذى يطلب العلم جزافا ، كمثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها ، ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري » .

ومن القضايا الصحفية الأخرى التى تثيرها هذه الواقعة موقف الصحافة المصرية من انجازات المصريين ، وللأسف هنا وجهان الأول يكشف عنه المنزلق الخطر الذى تودى اليه المبالغة فى الاحتفاء ببعض الانجازات بدعوى مصرتها ، والثانى يمكن أن نصفه مجازا بـ « صورة الغلاف الغائبة » ، كناية عن شحة احتفاء الاعلام بقطاعات مختلفة من النابغين .. فمع منظومة القيم المغلوطة انكمش كثيرا حجم الاحتفاء بانجازات العلم والعمل ومكارم الأخلاق .. والصحافة تضرب بذلك فى الصميم الدور الذى يجب أن تلعبه فى صياغة منظومة القيم والقيمة فى المجتمع ، حين تنقاد وراء مقولات الجمهور « عاوز فضايح ومعنى وكورة » .

والنتيجة المنطقية لكل ما سبق هى غياب الرأى العام القادر على التقويم ، فعلى سبيل المثال كان تولستوى يرى أن شكسبير كاتب من الدرجة الثالثة .. وهذا أمر يمكن فهمه واستيعابه ، فى إطار ظاهرة عدم صبر النواغى الواحد منهم على

الآخر .. لكن الأهم أن رأى تولستوى نم يقلل من القائمة  
العبرية لشكسبير ، في نظر انجهمور الواعى بالقضية  
المطروحة .. ذلك أن هناك رأيا عاما يملك مقومات الحكم على  
هذا وذاك ، ولا يخيل عليه ايما تهوئش كان .

وتبقى النتيجة غاية في الخطورة ذلك أن الرأي العام  
( لا البلاغات البوليسية التي تختلف مشارب مصادرها حتى  
للتقابات المهنية ) يجب أن يكون صمام الأمان الذي يحكم  
تقدم المجتمع ، اذا سلمنا بأنه لا سبيل الى تقدم حقيقى دون  
أن يكون تقدما ديمقراطيا .. وذلك بالاضافة الى تهاافت دور  
الصحافة ، بصفتها وسيلة من وسائل الشوفان والتقدير ، في  
صنع منظومة القيم التي تحكم المجتمع .

قد يسأل القارىء : « لكن ما الضير في أن يكتب يوسف  
ادريس ما كتبه ، بأسلوب التفكير الذى يريد ، ان كان للقضية  
المطروحة كل هذه الأبعاد » .

وهنا نكون قد أتينا الى الحلقة الأساسية في سلسلة  
المزائق التي يجر اليها تمحيص نتاج الهجوم الدماغى ، مطبقا  
على القضايا العامة ، بنفس أسلوب الأديب ، ولا بأس هنا من  
نظرة على ما أسفرت عنه الواقعة المترامية الأبعاد .

لقد جرى في الحصيلة النهائية اغفال كل الأبعاد التي  
أفردنا اليها ، التي لم يثر معظمها أصلا ، وجرى التركيز على

شخص أحمد شفيق وتصرفاته .. ولنتصور مجرد تصور أن أحمد شفيق ( أو غيره من المبدعين ) أتبع الأسلوب الذى طالب يوسف ادریس الباحث أن يتبعه : « يستأذن فى تجاربه وإذا نجحت يعرض النتائج على مجلس القسم الذى يعمل فيه ، فإذا أقرها رفعها الى مجلس الكلية ، ثم مجلس الجامعة ، ويصرح له بعد ذلك بنشرها فى الدوريات العلمية ، حتى يضع اكتشافاته أمام أنظار كل علماء الدنيا » .

لعل يوسف ادریس نفسه كان سيدرك لو عاود النظر فيما قال عمه الأسلوب البيروقراطى الذى يطالب الباحث بأن يتبعه .. وربما كان من المفيد هنا الإشارة ، بعيدا عن ظروف البيروقراطية المصرية ، الى تطور يفرض نفسه على طبيعة البحث العلمى فى السنوات الأخيرة فوسط المباراة الشرسة التى فرضت نفسها فى هذا المجال ( سعيًا الى كسب السوق العالمية أساسا ) تزايدت ظاهرة تأسيس جماعات بحثية ، تخصص فى تطوير وإنجاز ما يطلب منها ، من خلال عمل متكامل ، تجند له فرقا متكاملة ، مجهزة بأحدث أساليب التفكير الإبداعي وحيث ، وتعمل الواحدة منها بنظام ٨٠ ساعة أسبوعيا ، حتى تنتهى من بحثها .. وظهور مثل هذه المؤسسات بات يضمن على حركة البحث العلمى دينامية هائلة تفسح فى حرج أكبر إدارات البحث العلمى فى أضخم المؤسسات العالمية ،

لكن لعل المغالطة الأساسية في واقعنا ذات الأبعاد الهائلة أن يبدو يوسف ادريس مزهواً وهو يزف للقراء بنا تحرك نقابة الأطباء واصدارها قراراً « باستدعاء ده أحمد شفيق للتحقيق معه ، وكان الممارسة انطيمية المصرية ليس فيها الا تجاوزات ده أحمد شفيق بشأن سلوكه المدعى » به وهو ترويج أحلام يقظته في دنيا الاكتشافات العلمية ، على انها حقيقة ثابتة مؤكدة .. ثم عودته الى الاحتفاء بـ « نقابة الأطباء لسعيها الى احكام قبضتها على أخلاقيات مزاوله مهنة الطب في ظل القوضى الأخلاقية والذمية التي نحيا فيها .. فالعمل عظيم وجاد وآن آوانه بعد ما كاد يفلت الزمام » .

#### الاياذ القيمي :

هكذا تلخص البحر من خلال عين النورس في شخص أحمد شفيق ، وهكذا كانت النتيجة الهزيلة التي صنف لها يوسف ادريس وصورها على انها النصر المؤزر .

وليت الأمر يقف — وأنا هنا أستعير كلام يوسف ادريس نفسه في مجال آخر — عند كون : « أحكامنا ليست صادرة عن روية أو تفكير انما هي على الدوام أحكام ( انفعالية ) بنت اللحظة .. أى ردود أفعال وليست أبداً نتيجة موازنة ثم اتخاذ موقف » .. أقول ليت الأمر يقف عند هذا الحد والا لما استحق هذه الوقفة المسهبة .. ذلك ان الواقعة تكشف عن

مرض عضال يضرب الأمة في أعز ما تملكه .. ( التفتكير  
الابداعى الذى لا أمل لها في الخروج من مشاكلها بدونه ) وهذا  
ما يدعو الى جهد اضافى للكشف عن بيت الداء .. وهنا نكون  
قد درنا دورتنا وعدنا مرة أخرى الى الحاجة الى الشوفان  
والتقدير ، التى تشوهها منظومة قيم مغلوطة فتدفع بناغبين  
حقيقين الى هدر نبوغهم .

لقد دفعت الحاجة الى انشوفان والتقدير أحمد شفيق الى  
المبالغة : في تصوير محاولته في البحث عن دواء للايدز وتمادى  
في الحديث ( الاعلان ) عنها ، على انها اكتشاف علاج لمرض  
الايدز .. وتلقف يوسف ادريس المبالغة ليحولها ، مدفوعا بنفس  
الحاجة ، الى حادثة من حوادث النصب القاضحة ، التى تتيح  
منظومة القيم المغلوطة لمكتشفها ( وفي غياب رأى عام علمى  
يعتمد به ) تقديرا يفوق أى تقدير يمكن أن يحظى به لانجاز  
أدبى حقيقى ونافع .. وبين أمثال مبالغة أحمد شفيق واستهلاك  
يوسف ادريس لألمعيته فيما لا يجدى نابعة مثله يفقد المجتمع  
ما هو أكبر بكثير من تبديد نابغين امكاناتهما في الاستفادة من  
نواقص الواقع ( بدلا من مواجهتها ) .

ان بيت الداء هو منظومة القيم ( والقيمة ) المغلوطة التى  
تدفع مع ردود فعل « النابغين » الى ما اطلقنا عليه الظاهرة  
« الادريسية الشفيقية » ذلك ان المسألة لا تخص ولا تقتصر على

ادريس وشفيق وحدهما ، فهي تظل دنيا الإبداع وتكبل فعل النبوغ ، وترهقه بأثقال وأمراض لا يد من ان تمتلئ في نهاية المطاف .

بقى من الضروري التأكيد مرة أخرى على أن ما عانى وتناولته فيما يخص « الظاهرة الادرسية الشفقية الإيدزية النوبلية » ليس مدى مبالغة أحمد شفيق ، ولا مدى الجانب الذاتي في هجوم يوسف ادريس ، ولا تهافت كبار نوابغنا على الفوز بجائزة نوبل في إطار السعي الى أن يراهم الآخرون ، ولا الحقائق الخاصة بمرض الايدز ، ولا الخط الذي يسود دنيا الكتابة .. لأن ما يعيننا حقا هو « الايدز القيمي » الذي يشل جهاز حياة القيم الصحيحة في المجتمع فيصبح جسده فيها لكل « قيمة » مريضة تعجل على هدر النبوغ ، ذلك ان الخسر الأول والأخير مع هذا « الايدز القيمي » ، في كل مظاهره وتجلياته ، هو المجتمع الذي أثبتت مختلف التجارب انه لن يكون قادرا على تجاوز مشاكله دون اداع حقيقي من أبنائه .

ان أقصى ما يمكن أن نصيبه في إطار المعالجات « الانتعالية » هو عرض من آلاف الاعراض ، شتان بينه وبين مواجهة المرض .. شتان بينه وبين منظومة قيم راسخة تحثي بالعلم والعمل ومكارم الأخلاق ، وتساعد على تحريك الإبداع ، وفتح طرق النبوغ الذي تهدده الأفضاخ من كل جانب .

## الظاهرة البازية الرويلية العقوبية

هل ترى مصر علماء للبول المتقدمة ؟ !

تعودنا أن نفاخر بأبناء مصر الذين ينجحون في الخارج ،  
والاقتصار على الافتخار بأن واحدا منا قد أثبت قدراته بين  
« الخواجات » يعكس شعورا بالدية ، فَمَا لا جدال فيه أن  
الله لم يخلقنا كبشر بقدرات ورائية أقل من قدرات الخواجات ؛  
فمورثاتنا تنحدر من قدماء المصريين ، وما أدراكم من هم قدماء  
المصريين •

ومن هنا يستحق الأمر نوعا آخر من المعالجة ، تحاول أن  
تمحص الظاهرة البازية العقوبية من حيث صالحي مصر  
والمصريين •



راح الرجل يبحث عن مستشفى عالمي لعلاج قلبه العليل ،  
ودلوه على مستشفى كليفلاند ، الذي يذهب إليه الملوك  
والرؤساء وأصحاب الملايين ليس فقط لروعته ، بل لأنه مستشفى

له عراقة سبعين عاما من السمعة الطيبة والانجازات العلمية .  
وهناك فوجيء بكوكبة من الالباء المصريين الالبيين .. الالانور  
فوزى اسطغانوس رئيس قسم التخدير ، والالانور روبرى طرزى  
الالانصر فى أبحاث ضغط الالام ، والالانور فطنت فؤاد ،  
الالانصر فى دراسة العلاقة بين ضغط الالام وجراحات القلب ،  
ومعهم الالانور ميشيل غطاس وعمر المهى ومجدى سيدهم ..  
بل ورأى أن المصريين يكادون يحشرون أحد أقسام الالانصر  
وهو قسم التخدير ، حيث كانت تعمل بالقسم مجموعة من  
الالانصر واحدة من طب عين شمس ، تضم الالانور كمال برسوم  
وكمال أباير وفكرى عزيز ، ويرأسها الالانور نبيل مالك ،  
والالانصر أنه وجد كبار الأطباء يحدثونه عن فضل الأطباء  
المصريين على تطور التخدير فى الولايات المتحدة كلها وليس فى  
كليفالانر فقط ، فالالانصر الفريق المصرى فى هذا الميدان جعلت  
أبحاث التخدير على مستوى الالانصر إلى كل المراكز الطبية والعلمية ،  
كما أن المصريين يلعون إلى اللقاء المحاضرات فى كل الالانصر  
الالانصر ..

مصر خرجت ٢٠٠٠ مهنس نووى ؟

ومثال كليفالانر ليس فريدا من نوعه فنحن نعرف تكرارات  
أكثر دوبا ، فليس بيننا من لم يسمع حكايات مجدى يعقوب  
وذهنى فراج و .. فى المملكة المتحدة مثلا . وقد اخترنا مجال



الطب لأنه المجال الأقرب إلى اهتمام الناس العاديين ، لكن الامر لا يقتصر عليه وحده ، فعلى سبيل المثال سال الدكتور ابراهيم بدران رئيس أكاديمية البحث العلمى ، فى حينه ، الخبراء الأجانب أن يدلوه على أسماء عدد من خبراء الليزر فى العالم ، وكان أن ضحك معظم من سألهم ، لان أحمد زويل كان واحدا من أكبر خبراء الليزر فى العالم ولم تكن أكاديميه البحث العلمى المصرية تعرف عنه شيئا .. وفى مختلف المجالات هناك حكايات مدوية مثل حكايات فاروق الباز وعصام معروف ، العالمان المصريان اللذان يعملان فى مجال الأنشطة الفضائية الأمريكية ، والدكتور عزت عبد العزيز والدكتور يحيى المشد فى مجال الطاقة النووية ، و .. ، والذي يهمنى أن هذه الحكايات ليست الا قمة جبل الثلج الظاهرة فوق مياه المحيط ، وأتأ نرى أينما شرعنا البصر فى جوانب العالم الأربعة أبناء نابضين لمصر ، يمكن أن تتصور الحجم الحقيقى لهم اذا تتبعنا أحد الأمثلة من المنبع .

فى هندسة الاسكندرية مثلا قسما للهندسة النووية يعمل منذ أكثر من ٣٠ سنة ، تخرج فيه ما يزيد على ٢٠٠٠ مهندس — علاوة على المتخصصين فى هذا المجال من خريجي الكليات الأخرى كالعلوم مثلا — ونصيب تخصصهم فى المجالات التطبيقية واه للغاية ، فأين تراهم ، وهم من صفوة العقول المصرية ، ذهبوا يا ترى ؟

والغريب أننا مع ذلك نحتقر افتقارنا يكاد يكون تاما لاعداد الكوادر الفنية الوسيطة في هذا المجال - كما في مجالات كثيرة غيره - الذين لا يمكن قيام قائمة للعمل بدولهم ، حتى يبدو أمر تعليم وتخرج هذا الكم من أصحاب الدرجات العلمية العالية ، وكأنه اعداد لقاعدة من الكوادر تختار منها البلدان الأخرى احتياجاتها ، ذلك ان لم يكن الهدف هو الهدر لطاقتنا التعليمية •

### لماذا لا يعود المصري ؟

وما يسرى على قسم الهندسة القوية يسرى على أقسام الكمبيوتر وما يشابهها من أقسام - وبعضها يعمل في مؤسساتنا التعليمية منذ أكثر من ثلاثين سنة • وقد يتصور البعض أن قيام هذه الاقسام ارتبط بمرحلة معينة جاوزت فيها أحلامنا القومية قدراتنا ، أو أنها ترتبط بفروع بعينها لها طبيعتها الخاصة ، وأن الأمر آخذ في التغير •• لكن هذا ليس صحيحا •

فخلال واحدة من الزيارات الأولى للاكتور زويل لمصر وما صاحبها من ضجة اعلامية ليزرية سئل الرجل ان كان بالإمكان أن يلتحق عدد من المصريين بمعهد في كاليفورنيا ، حتى تكون مصر كوادرها في مجال الليزر ، فأجاب للتو ان هذا ليس الحل ،

ذلك أن من سيتدرب هناك لن يعود الى مصر ، وسيبقى في الولايات المتحدة ، أو يبحث عن عمل في البلدان الأوربية . وأوضح أن بقائهم في مصر يحتاج لأن تكون هناك قاعدة تقنية تستوعب جهودهم ، وقادرة على الاستمرار الذاتي ، فلا تتوقف - في انتظار الفرج - حين يحدث عطل لأحد أجهزتها ، وأن تتغير سياسة وطبيعة تمويل الأبحاث ، بحيث تلبى احتياجات حقيقية يقتنع القائمين عليها بتمويل هذه الأبحاث ، وأنه لا بد من قاعدة علمية وتكنولوجية عريضة تعتمد على تحصيل مستوى متقدم من الرياضيات والطبيعة والبيولوجيا ، ولا بد من قاعدة متكاملة من العلوم تبرز عليها الانجازات الحديثة مثل انجازات الليزر أو الكمبيوتر .. ولا يمكن بناء قاعدة ليزر في الصحراء خلال أسبوعين ، والأعداد الكبيرة في الجامعة المصرية مثلاً تمنع التركيز والدروس بالصورة الواجبة .. من دون ذلك كله فلماذا سيعود المصري ، ان لم يكن قد قرر الاهتمام بأشياء أخرى غير التي أعد نفسه علمياً للقيام بها .

والغريب أن محاولة لانشاء مثل هذه القاعدة العلمية التقنية المتكاملة كما تتمثل في « مدينة مبارك للعلوم » مثلاً عرضة للمأزق نفسه ، فارسال البعثات واحدة من الخطوات الأولى للمدينة ، وقد أبدت إيطاليا استعدادها لإيفاد العديد من

الدارسين والباحثين للحصول على درجات الدكتوراه في شتى نواحي العلوم ، كما أن الحكومة الألمانية خصصت حوالي ٣٠ منحة دكتوراه تتجدد سنويا في شتى التخصصات العلمية للمدينة .. ويمكن الحصول على كثير من البعثات من مصادر أخرى ، لكن المبرزين في هذه البعثات سيجدون اغراءات كثيرة لعدم العودة الى مصر ، وذلك اضافة الى المأزق الشخصى الناتج عن انتقال المبعوث من القرية الى المدينة الكبيرة ، الى الإقامة الطويلة في المدن الأجنبية بما ينطوى كل ذلك من مغامرات وجدانية وثقافية واجتماعية ، تنقل صاحبها في الغالب الى صفوف صفوة تعجز عن الاندماج في مجتمعاتها الأصلية .

وكل ذلك يهدد حتى المدينة التى ما زالت في طور الانشاء بالضمور ، أسوة بسابقاتها ففي مصر تجمعات علمية كبيرة لا تقوم بالدور المنتظر منها في عصر العلم مثل المركز القومى للبحوث ، وهيئة الطاقة الذرية ، وأكاديمية البحث العلمى ، و ...

#### عائد الودائع الخارجية !

وأمر جيد أن يساهم أبناء مصر في المسيرة العلمية لعالمنا . لكن هل علماء مصر العاملين في الخارج هم حقيقة رصيد بشرى لنا مودع في بنوك أجنبية ، نحصل على عائده بانتظام ،

أو ينتظر حتى أن نحصل على عائده يوما ما .. كما يرى الدكتور  
ابراهيم بدران ، مرتكزا على أن لدينا رابطتين متأصلتين في  
جيناتنا ( مورثاتنا ) منذ سبعة آلاف سنة ( حضارة ) هما رابطة  
العائلة ورابطة الأرض ؟

أم أن علينا الاقتناع بوجه النظر القائلة بأن هذه هي  
المساهمة الممكنة لنا في تراث البشرية العلمى ، لأنه ليس لنا قبل  
بالنفقات الباهظة التى يتطلبها البحث والتطبيق العلمى هذه  
الأيام .

وسواء كان الأمر على هذا النحو أو ذاك فإن علينا إعادة  
التفكير فى أمور كثيرة ليس آخرها ترشيد ما تتحمله الدولة من  
نفقات تعليمية ، فقد لا تكون الهندسة النووية هى الأجدى  
فيما يخصنا حاليا ، وقد تكون الطاقة الشمسية أهم — مثلا —  
من منطلق أن أوروبا وأمريكا اللتين لا تناسبهما الطاقة الشمسية  
كما تناسبنا ، لن تقوم بهذا الجهد عنا .. وأن نركز فى أقسام  
الكمبيوتر على التطبيقات التى يمكن أن تؤهلنا لدخول العصر ،  
فحقيبة الذكاء الصناعى القادمة تعالج اللغة نحوا وصرفا  
ودلالة و ... ، والأجدى أن نحمل نحن هذا العبء .

المهم هو التركيز على فروع علمية بعينها هى الأكثر  
استراتيجية وأكثر احتياجا فيما يخصنا ، الى جوار الفروع

التي يمكن أن نحقق فيها انجازات معقولة تسمح بالآ نهدر  
ما نزرعه ، أو ترك عائده لغيرنا ، و ... وذلك اضافة الى  
تهيئة أوضاع المؤسسات العلمية التقنية القائمة والجارى  
انشائها ، حتى تؤدي دورها وتحفظ كوادرها فى حالة عمل علمى  
حقيقى ، بالذات وسط أوضاع الاقتصاد المصرى المتغير ،  
والسائر باتجاه احترام آليات السوق •

## ضرورة النهوض والتقدم

حتى لا ينتهى مآل الابداع العربى الى الصفر

المتابع لما يجرى فى عالمنا : عالم شبكة اتترنت وأدوات  
العملة و ٠٠٠ ، خلال السنوات الأخيرة والوتائر التى يجرى  
بها ، يدرك مدى العزلة التى تتهدد العربى فيما يخص النهل من  
التراث الانسانى والتواصل مع الابداع العالمى فى كافة  
المجالات ، حتى أننا بتنا على وشك العيش فى جيتو منقطع الصلة  
بما يجرى حوله .

ما طبيعة الجيتو المعرفى الحضارى الذى يتهددنا ؟ وهل  
من طريق لتجاوزه ، حتى لا ينتهى مآل الابداع بل والوجود  
العربى الى الصفر ؟



لا بأس من حكايات تمهيدية لازمة للإجابة ،

## دراسة تاريخ الفن :

أتاحت لى ظروف الحياة أن أدرس تاريخ الفنون الجميلة ثلاث مرات . والطريف أن ذلك حدث رغم اتمامى الدراسة من المرة الأولى فى واحد من المعاهد الأكاديمية المصرية بدرجة « امتياز » ، كما أن المرات الثلاث لم تغنينى عن السعى الى دراسة تاريخ الفن مرة رابعة هذه الأيام . وبديهى أنه ما كان لى أن أتجشم عناء دراسة جديدة لموضوع سبق وأن درسته ، الا مع الاحساس بأن الدراسة الجديدة ستضيف الى ما لم أحظه من دراستى السابقة .

فى المرة الأولى درست تاريخ الفن وسط زحام من الطلاب المرهقين الذين ساقتهم الرغبة الى ركوب قطار مواصلة التعليم ، بصرف النظر عن وجهته أو عن « تاريخ الفن » بحد ذاته ، وسجنت الامكانيات الأمر فى نطاق سردي ، لم تتطرق معه الى مشاهدة الإبداعات التى تتحدث عنها ، ألا من بعض صور على البعد فى كتاب مطبوع بالأبيض والأسود فى يد الأستاذ . ولا جدال فى أن هذا الوضع كان يؤثر على حماس وأداء كل أطراف العملية التعليمية أساتذة وطلابا ، كما أن الاقتصار على الحديث عن نواح فنية كالتكوين ودراما اللون والايقاع والهارموني بالألفاظ ينطوى على صعوبة شبيهة بتلك التى تواجه الحديث عن الموسيقى . . اذ أن لذلك « لغات »



خاصة غير لغة الكلام ، ومهما قيل ، فلن تزيد قيمة القول على قيمة تعليق مكتوب بصدد مقطوعة موسيقية لم يسمعا المرء !

أما المرة الثانية ( عام ١٩٧٤ م ) فقد قادتنى ملايسات متعددة الى التحمس لخوضها .. كنت أقيم فى عاصمة أوريسية وسمعت اعلانا عن محاضرة موضوعها الفن المصرى القديم ، فشغفت لمعرفة ما يقوله هؤلاء الأجانب عن شئ يخصنى . وجدتنى فى قاعة مسرح تتسع للآلاف مكتظة بالرواد الذين جاءوا مختارين ، واكتشفت أن المحاضرة تتناول جانبا واحدا من فنون مصر القديمة ، وأن هناك جزءا ثانيا يلقى محاضر آخر ، وجزءا ثالثا يلقى غيرهما ، وأن هذه الأجزاء ليست الا فصلا من برنامج متكامل ، يقدم للجمهور العادى بتذاكر منفصلة أو « أبونيه شامل » مقابل قروش قليلة ، عن الفن منذ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر ، يقوم بكل حلقة من حلقاته أستاذ متخصص حاصل على درجة الدكتوراه فى المرحلة المعنية ، زار بلاد الفنانين وأطلع على أعمالهم ، كما أن المحاضرة تقدم مسلحة بأرقى الامكانيات التقنية فى حينه ، وموشاة بكم هائل من المستنسخات الملونة ، وبتوصيات لزيارة متاحف قريبة ترى فيها جانبا هاما من هذه الأعمال ، وملحقة باجابة عشرات من أسئلة الرواد ، ولما كنت قد بهرت بالروح العامة ، ونبا

بتاح من رؤية مسهبة للأعمال التي يجرى الحديث عنها ، وبمدى  
الامام والتعمق بموضوع المفروض أنه فن بلادى وأتى  
درسته دراسة أكاديمية ، ولما كنت قد أدركت ذلك كله فقد  
قررت مواصلة دراسة تاريخ الفن من جديد .

المرّة الثالثة ( عام ١٩٨٠ م ) كانت حين أتيت لى الفرصة  
لمتابعة تاريخ الفن فى سلسلة برامج قدمتها محطة كبيرة من محطات  
التلفاز . جندت أفضل المحاضرين الى جوار أفضل المبدعين  
والمخرجين ، وجرت وراء أفضل الأعمال الفنية وأكثرها  
تعميرا عن مقتضى الحال فى جنبات الدنيا الأربع ، وأتاحت  
الامكانيات التقنية للتلفاز ، الى جوار ما سبق درجة هائلة من  
المتابعة .. أختار الفريق أفضل زوايا تصوير الأعمال  
الفنية ، وقرب وكبر واجتزأ ومنتج وآخر وضاهى ، كما لم  
تكن هنالك أعباء مضجرة سواء من ناحية الوقت أو « وسيلة  
الانتقال » ، فكان الأمر متعة لا تبارى .

أما المرّة الرابعة ففرضتها التطورات التي طرأت على  
امكانيات الكمبيوتر ، فنهضت بسرعة غملة وسعة ذاكرته ، وجعلته  
قادرا على تناول الصور ، مما أدى الى ظهور مجموعة من  
البرامج ، مسجلة على أقراص ضوئية ( CD-ROM ) لا يوزن وزن  
الواحد منها على جرامات ، ويغزى آلاف الصور وأرقى الأعمال

الفنية في مختلف العصور ، الى جوار وجهات نظر نقدية مختلفة راجعت هذه الأعمال ، وأداء مبدعيها وسيرتهم الفنية ، بالاضافة الى مواد وفيرة من أشهر موسوعات الفنون الجميلة ، ويستطيع مستخدم البرنامج ، في أى وقت يريد ، وفي سر بالغ ، بمجرد لمسة اصبع أن يتجول بين عناصر شبكة مترابطة متكاملة من المرجعيات \*

( كأن يتنقل مثلا بصورة اختيارية وبأى ترتيب يعن له ، ومن واقع المادة التى يتعامل معها ، من سيرة يكاسو الفنية الى لوحته « الحياة » فقراءة نقدية لها ، وقراءة ناقد ثان ، وثالث ، ثم الى مرحلة يكاسو الزرقاء التى تنتمى اليها هذه اللوحة ، فمرحلته الوردية ، فزوجته فيرناند أوليفيه التى صاحبت فى هذه المرحلة والأهمته اياها ، فلوحة فتيات أفنيون ، فقراءة نقدية لها ، ثم مفهوم المنظور ، فسيرة براك ، فالتكعيبية - التكعيبية التحليلية - الهارمونى - الفورم - الموسيقىار أرك ساتيه - دياطيف - الباليه الروسى - جان كوكتو - سوبر وإليزم - سرياليزم - دالى - بريتون ... ، ومئات غير ذلك من اللوحات والمفاهيم والسير والآراء النقدية المتشابكة ) \*

كما أن مثل هذه البرامج تمكن المرء من التعامل بحرية مع الأعمال الفنية .. فتتيح له أن يقرب صورها ويركز على

أجزاء منها ، بل ويغير ألوانها ويزيل - بقدر محسوب - آثار الزمن التي تراكت على صفحاتها ، ويكمل ما ضاع من العمل الفني ، ليراه وكأنه قد خرج للتو من بين يدي الفنان .

بل وتمكن برامج من هذا النوع المراء من الاجتراء على هذه الأعمال وتحويل أى رسم يريد من المدرسة التى نفذت لفهمها الى مدارس فنية أخرى كالتنقيطية أو التجريدية أو .. كما تمكنه من اكساب صور أعمال النحت البعد الثالث لتبدو مجسمة .

ذلك فضلا عن أن هذه البرامج تقى - ولا تكتفى بالاشارة - بالمعارف التى تعامل الفنون على أنها أحد تجليات الأجواء الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية التى تحيط بظهورها ، وتتيح نظرة موسوعية بانورامية عن ذلك .

لقد تعودنا ربط أسماء انشئين وبلانك ومنكوفسكى بتاريخ الفنون الجميلة ، لكن يجب عدم خداع النفس فى هذا الصدد ، فمعظمنا يمارس بذلك تمارين يتذكر فيها ما سمع أو ما قرأ ، وهذا شئ مختلف تماما عن تمارين المعرفة والذهن والفكر والتذوق الحقيقى .. لأن كثيرين ممن يرددون هذه الأسماء لا يعرفون حقيقة انجازات أصحابها ، ولا كيف ارتبطت على وجه الدقة بالتطور المعنى فى الفن .

باختصار أن مثل هذه البرامج هي ورش فنية حقيقية يشاهد فيها المتذوق ، ويقتطف مما يشاهد ويسمع ( التعليقات ) ، ويكرر المشاهدة والسماع والتحصيل والتأمل ، وهذه الامكانيات لا تتيح فرصة حقيقية لتذوق حقيقى فقط ، بل تؤدي الى انقلاب عدد من عيوب النقد الى مزايا . فقصور الأدوات فى الماضى أدى الى أن تتحول معلومات سياقية فنية حقيقية ، مثل سيرة الفنان ومجلد لوحاته والمعارض التى شارك فيها ، تتحول الى أوبة ضارة لأنها بالصورة التى كانت تساق بها لم تكن تحمل قيمة فنية حقيقية للجمهور ، الذى لم ير غالبا قوائم الأعمال والمعارض التى تتكرر الإشارة اليها ، ولا يمكن أن تكون حية فى ذاكرته بأى درجة من الدرجات . ويستحيل أن يكون لها على هذا النحو قيمة أكثر من كونها تدريبات ساذجة لاستخدام الأرشيف أو للذاكرة فى أفضل الأحوال ، ولا علاقة لها بحس أو ذوق .

لكن هذه السياقات تأتى مع الأدوات الجديدة وسط كوكبة من الامكانيات الملتصقة بالحس الفنى ، التى تمثل الجسد الحى الذى يجرى التعامل معه ، مما يجعلها نافذة على ما يربى الحس والتذوق وعلى ما يرقى بهما ، مما يفتح الباب لوثيقة هائلة فى عالمي التذوق والمعرفة .

وقد يتصور البعض أن التفاوت بين حصيلة مرات درس  
الفنون الجميلة أمر يكتسب منطقته من طبيعة موضوع  
« تاريخ الفن » ، وكون الصورة تلعب دورا أساسيا في المسألة ،  
ولا يشكل فاموسا عاما فيما يخص كل مجالات المعرفة . لهذا  
لا بأس من الانتقال للحكاية الثانية .

### النظرة للثقافة العلمية :

عام ١٩٧٠ كنت رأس أحد الأقسام بمجمع الحديد  
والصلب . وأوفدني المجمع في مهمة هندسية دامت ستة  
شهور ، في واحد من أكبر مصانع الحديد والصلب في العالم .  
وجعلتني تجربة الغدل مع الزوس في المجمع أرفض من اللحظة  
الأولى فكرة أن تضاجني طوال الشهور الستة مترجمة ، تنج  
لي أن أتعامل خلال عملي وأقامتي باللغة الانجليزية . وبدلا منها  
طلبت مدرسا يساعدني على التقدم في لغة من سأعيش وأعمل  
معه . وفي أول لقاء طلبت أن تبدأ مباشرة في التعلم عن طريق  
قراءة الشعر . واختارت مدرستي ، تأثرا بطبيعة الموقف ،  
أشعارا ظالت فيها علاقة بالتكنولوجيا والصواريخ و... ورغم  
تحتيتي لأشعارها ظلت اسمها دعابة « تانيا الفضائية » ،  
ففوجئت بها تحكي عن اهتمامات فضائية فعلا ، قادتها الى  
« المجن » في طقولتها .

كان في حديقة المدينة الصغيرة البعيدة التي نعيش فيها  
قبة سماوية ، وكان يظب لب الأطفال حضور عروضها .  
ويوما قرأ الصبية في أحد المجلات العلمية ، المخصصة لهم ،  
عن الحضارات الكونية الأخرى ، والاشارات التي ترسل بها  
الى الأرض . وخلال النقاش اختلف الأطفال حول مواقع  
بعض النجوم التي ورد ذكرها في المادة العلمية ، وأخذتهم  
الحمية ، وكان الليل قد حل ، فقرروا عدم الانتظار حتى  
الصباح ، واخترقوا أسوار الحديقة ومبنى القبة السماوية وقاموا  
بتشغيلها . وبينما انهمكوا في نقاشهم كان البوليس قد حاصر  
المبنى الذي دبت فيه الحركة على غير العادة ، وتم القبض عليهم .  
وكان من بينهم مدرستى الموقرة . التي لم تتمالك نفسها أمام  
لوم الضابط .

— يا تانيا افت بنت . مالك ومال الصبيان الأثقياء  
هؤلاء ؟

— وهل يعنى كونى بنتا الا أعرف مكان النجم  
« س » و ...

— يا تانيا الصباح رياح ، وكل حاجة لها نظام شغل ،  
ويمكن أن تلتف باللعب فيها .

— ماذا تقول ؟ بالطبع لايمكن أن تلتف فانا التي كنت  
أديرها .

— والله عال • أنت من كنت تديرنها ونحن نضرب  
أخماسا فى أسداس ونقول أى غزاة من الفضاء الخارجى خطوا  
على القبة السماوية ...

حدث ذلك مع تانيا فى الستينات المبكرة ، ولعله نقل  
للقارئ المزاج العام للطفل الأوروبى آنذاك ، وبيننا وبين ذلك  
أكثر من ٣٠ سنة : نهض فيها الطفل الأوروبى الى ذرى أرقى  
كثيرا • حتى أنه بات فى بيت أكثر من نصف هؤلاء الأطفال قبة  
سماوية كاملة ، أرقى وأكثر إبهارا وثراء : على الأقراص  
الضوئية الكمبيوترية إياها ، يتعامل معها فى أى وقت يريد ،  
وبإمكانات شبيهة للإمكانات التى فصلناها سابقا • وذلك طبعا  
الى جوار مئات المطبوعات والدوريات المكرسة لتوسيع  
آفاقهم ومتابعة تطلعاتهم العقلية بالرى والنماء ، ناهيك عن  
مئات البرامج التليفزيونية •

( بالمناسبة كان لدينا فى مصر كلها قبة سماوية واحدة  
تنافسنا على نقلها — أو قتلها فى حقيقة الأمر — ليجلس هذا  
أو ذاك من الموظفين المهمين مكانها فى أرض المعارض  
بالجزيرة ) •

ولعله المكان المناسب للإشارة الى أن التقنيات الحديثة  
خطت بأطفال العالم المتقدم خطوات بعيدة فى مجالات كثيرة ،



ربما كان بليغ الدلالة أن نذكر منها هنا مجال اللعب ( ١٤ ) .  
فلعبة مثل « مدينة سيم » تعطي الطفل ميزانية كاملة لبناء  
مدينه ، مع صلاحيات مطلقة لادارتها وتظهر على الشاشة أمام  
الطفل مدينة مجسمة كاملة ينفق عليها من ميزانيته بعناية .  
فما أن يقصر في اعتمادات الشرطة وتعيين وتدريب كوادرها حتى  
يفاجأ بارتفاع مستوى الجريمة في المدينة . وما أن يقلل  
في الاعتمادات الخاصة بمحطات الطاقة حتى تغلق المصانع  
أبوابها وتزداد البطالة ، والطريف أن لهذه المدينة اضافة تجعلها  
تنطبق مرة على باريس ومرة على لندن وثالثة على طوكيو ورابعة  
على « سيم عام ٢٠٠٠ » . وهذه مجرد لعبة من اللعبات  
التي يلعبها كثير من أطفال الغرب اليوم .

لقد صار للعب المحض ( دون وعظ مدرسي ) قيمته  
التربوية والاقتصادية والابداعية ، فالأطفال باتوا يتدربون من  
خلاله على مواجهة مشكلات الحياة ، والأجيال الجديدة من  
اللعبات الكمبيوترية المتطورة تحفز وتنمي الى جوار مهارة حل  
المشكلات ، مهارة اتخاذ القرار ، كما أنها تزيد من قدرة  
الطفل على التركيز وتشحذ خياله .

كما أن امكانية « الأخذ والرد » - أو التفاعل - مع  
البرامج الكمبيوترية الراقية وسيلة فعالة للتخض من آفة

تلتقى السليمي ( الناتج عن تعليم التلقين ومتابعة التلفزيون ) ،  
بما يساهم في تنمية المهارات الذهنية لدى الصغار ويزيد من  
قدرتهم على التفكير المنهجي المنظم ، ويحثهم على التفكير  
المجرد ، ويجعلهم أكثر ادراكا للكيفية التي يشكرون بها  
ويتعلمون من خلالها ، كما أنه ينمي قدراتهم الابداعية  
والابتكارية ، ويقلل من تأثير رقابة الكبار الكابحة عليهم ،  
ويميز في نهاية المطاف نزعته الى التفكير بالاستقلال .

ولا بأس بعد ذلك من الانتقال الى الحكاية الأخيرة .

#### العماد اسرائيل الصناعية :

كانت البروفيسورة ( ؟ ! ) آليسا شنهار سفيرة اسرائيل  
في موسكو ، تستعجل سائق السيارة الروسية في تغيير أحد  
عجلاتها على الطريق بين مطار « بليستسك » وقاعدة اطلاق  
الأقمار الصناعية ، حتى تلحق باللحظة الحاسمة لاطلاق القمر  
الصناعي الاسرائيل « جوروين - ١ » بينما كان المهندس  
أناتولي فولفوفسكي ، الروسي الذي هاجر هو وأسرته الى  
اسرائيل قبل سنوات ( ليس هناك ما يمنع أن يكون واحدا من  
عصابة تانيا مدرستي ) ، والذي عمل ما يقرب من ثلاث سنوات  
في بناء القمر الاسرائيلي ، يعبر - للصحفيين - عن مسعده  
بالعودة للمرة الأولى الى روسيا بصفته عالما اسرائيليا ( ؟ ! ) ،

للمشاركة في اطلاق القمر الاسرائيلي ، ويبين كيف قضى الليلة السابقة مع الرفاق الروس يغنون بالروسية والعبرية ، وكيف أن علاقات التكامل بينهم تمضي بصورة ممتازة ، وكيف أنه يحس برضاء عميق ، بعد أن تكلل الجهد المتواصل الذي بذله في اسرائيل بالنجاح . ذلك بينما كان زميله الروسي الذي يشرف على استعدادات الاطلاق يعبر عن سعادته بالتعاون الرفيع المستوى مع الزملاء الاسرائيليين ، وبتحويل الصاروخ الحربي الرهيب « اس اس - ٢٥ » ، وبمعاونة الأصدقاء الى صاروخ يستخدم في الأغراض السلمية ( ؟ ! ) ، كاطلاق القمر الصناعي الاسرائيلي .

والقمر الصناعي المعنى ، قام بصناعته ، وبتكلفة بلغت ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ، طلاب ( ؟ ! ) معهد من معاهد « تخنيوم » - أقدم الجامعات الاسرائيلية ( ؟ ! ) - بالاشتراك مع عشر من شركات التقنيات المتقدمة في اسرائيل ، بدعم مالي كانت هناك استحالة لاكمال المشروع بدونه ، من رجل الأعمال الأمريكي جوزيف جوروين ، الذي حمل القمر « جوروين-١ » الى جوار اسمه رقم « ١ » اعتبارا لما هو آت ( ؟ ! ) .

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده الوفد الاسرائيلي في مطار موسكو ، بعد الاخفاق في ايصال القمر الى مداره

ليقوم بمهمته ، ولعطب اصاب عمل الصاروخ ، قال البروفيسور جورا شافيف رئيس « معهد أبحاث الفضاء » في اقدم الجامعات الاسرائيلية ( تخنيوم ) : « سنحاول تحرير القمر الصناعي من بقايا الصاروخ » واستطرد البروفيسور رئيس تدمير رئيس وفد الجامعة : « وحتى اذا لم نتجح في ذلك فانا لن نفقد سوى جسد القمر .. لقد حققنا أهدافنا الأكاديمية التعليمية فيما يخص اعداده وتجهيزه . وتصاميمه وخبرات صنعه باقية لم تضيع معه ، ويمكن أن تنخرط للتو في صناعة نموذج ثان له ، بتكاليف أقل كثيرا ، وعلى الروس تحمل تكاليف عملية اطلاق بديلة ، والأكد أن ما حدث لن يؤثر سلبا على صناعة الأقمار الصناعية في اسرائيل .

ويمكن أن يكمل خطوط الصورة السابقة أن اسرائيل لم تستطيع الصبر على تأكيد أن الفشل لم يكن سوى فشل روسي فقد أطلقت ، بعد أيام فقط ، قمر التجسس « أفق - ٣ » بصاروخ اسرائيلي طورته بـ « علمائها » من الألف الى الياء هو الصاروخ « شافيت » ، ومن قاعدة اطلاق اسرائيلية ، وفي مسار من أصعب مسارات الاطلاق ( عكس اتجاه دوران الأرض ) .

لكن الصورة ستبدو أكثر اكتمالا مع التصريحات التي

أعقبت اطلاق القمر والتي أكد فيها أكثر من مسئول اسرائيلي كبير على : « أن اسرائيل أصبحت تملك بشكل مستقل امكانية الحصول على المعلومات الاستراتيجية التي تحتاجها دون الاعتماد على بلدان أخرى » مشيرا الى تجاوز تحكم الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المعلومات أيام حرب ١٩٧٣ وحرب الخليج •

ان مجمل التفاصيل السابقة يكشف عما هو أخطر من امتلاك اسرائيل أداة لاستصلاح ما يجري في أرض الجيران ، وهو امتلاك مخطط محكم للتعامل من موقع ريادي مع عصر القضاء :

— قدرة على تصميم وتصنيع صواريخ تصعد بحمولات درية ، وليس أقمار صناعية فقط ، الى الفضاء الخارجي •

— قدرة على تصميم وصنع أقمار صناعية مختلفة الأغراض تتناسب مع احتياجاتها •

— امتلاك ميدان للتجارب والاطلاق ، ومحطات أرضية للمتابعة •

وربما كان الأهم من ذلك كله وعى بمسار التقدم العلمي والتكنولوجي بإمكاناته الحالية وآفاقه المستقبلية ، ووجود

مؤسسة متخصصة لقيادة العمل في هذا المجال ( مؤسسة الفضاء الاسرائيلية ) لها استراتيجية محددة وأهداف واضحة ، يساندها في أداء وظيفتها نظام تعليمي متخصص ( معهد أبحاث الفضاء في « تخنيوم » ) ، وتوزيع الجهد الصناعي على من يستطيع المشاركة ( شركات ومؤسسات اقتصادية وعسكرية و ٠٠٠ ) وتعاون عالمي أقل ما يقال عنه أنه يجري على قدم المساواة مع المتقدمين ، ومصادر تمويل سخية لهذا النشاط ( ٣٥ مليون دولار لتدريب التلامذة في تجربة حية ! ) ، بالإضافة الى منافذ وعلاقات وسياسات ناجعة لتسويق نتاج نشاطهم .

وترجع أهمية ذلك كله الى أن أنشطة وتكنولوجيا الفضاء نوع من التكنولوجيات الشاملة لا تقتصر مجالاتها على التجسس العسكري ، بل تمتد كمبات واضحة للجميع اليوم الى الاستطلاع المدني والطقسى ، والاتصالات ونقل أحداث القارات الأخرى .

وقد لا يكون واضحاً نفس القدر أن تكنولوجيا الفضاء تنطوى على حلول للمشاكل الملحة في الزراعة والغذاء ،

بالاستعانة بقدراتها على الاستشعار عن بعد والتنبؤ بالطقس والآفات ، والمساهمة في زيادة الانتاج الزراعى وتعمير الصحارى والحفاظ على الثروات الطبيعية ، وربما التكاثر في ظروف الفضاء .

وان كانت هذه التكنولوجيا تتمتع بمثل هذه القدرات فيما يخص نشاط تقليدى كالزراعة ، فعلينا أن نتصور ما يمكن أن تتيحه من تقدم فى مجالات الصناعات التقليدية والصناعات الالكترونية والاتصالات والتجارة أو من خدمة لأهداف التقدم الاقتصادى والاجتماعى عامة ، وبالتالي نمو ورفاهية التجمعات البشرية .

انها باختصار تكنولوجيا تترك أثرها على كل نشاط بشرى ، بل وتعيد صياغة رؤية الانسان وموقعه بالنسبة لمجتمعه وبيئته واقلية وعالمه والكون المحيط به . صحيح أن الخطوات الأولى فى عالمها تستفيد من احتياجات الأمن والدفاع العسكرى كمدخل ، لكن سرعان ما يصبح للأمن القومى الأولوية فى الأمر، اذا أخذنا بعين الاعتبار أن مفهوم هذا الأمن قد تغير واتسع ضفافه لتشمل ما هو سياسى وثقافى واقتصادى واجتماعى و ...

ولا يمكن إنهاء هذه الحكاية دون اشارة الى أن اسرائيل تسعى الى وراثة التراث العلمى والفنى السوفيتى ، فبعد هجرة فرق فنية كاملة اليها ، فان التعاون العلمى الصناعى العسكرى هو محور التعاون مع بلدان الاتحاد السوفيتى القديم وفى مقدمتها روسيا وأوكرانيا ، اللتان يزورهما بانتظام عدد من المسئولين الاسرائيليين بالذات وصفوة العلماء السوفيت قد ذهبوا الى اسرائيل ويعملون فيها .

ولا يقتصر الأمر على بلدان الاتحاد السوفيتى القديم فقد سبق التعاون على مستو لم يتحقق لأحد مع الولايات المتحدة وأوروبا من قبلها ، ومنذ ١٩٥٨ م ؟ ! ، وفى أرقى مجالات التسليح والتقنية ، ونكتفى هنا بالاشارة الى تطوير الصاروخ « حيتس أو آرو » ( السهم ) بالاستعانة بالتمويل والخبرة الأمريكيتين فى اطار مشروع حرب الكواكب أو الفضاء ( ؟ ! ) . هذا كما أعلنت الصين مؤخرا عن أنها تبنى واديا للتكنولوجيا المتقدمة بالتعاون مع اسرائيل .

وكنتيجة لذلك باتت اسرائيل تصمم وتطور وتصنع وتبيع كثير من معدات « عصر الفضاء » حتى للبلدان المتقدمة ( ؟ ! ) . هذا كما أن اسرائيل أطلقت قبل فترة قمر الاتصالات « عاموس » ، وهو من النوع الذى ينقل البرامج التليفزيونية



والمكالمات الهاتفية و ... ، وقد كانت تخطط لاطلاقه منذ سنوات ، وإن تريثت ، نظرا لطبيعته التجارية ، حتى تمهد الساحة الاقليمية والدولية جيدا لتسويق خدماته .

بعد الحكايات نعود الى سؤالنا .

ما طبيعة الجيتو المعرفى الحضارى الذى يتهددنا ، وهل من طريق لتجاوزه ؟ حتى لا ينتهى مآل الابداع العربى الى الصفر ؟

ولا أعتقد أننى بعد الحكايات السابقة فى حاجة الى تفصيل أكثر عن طبيعة الجيتو الحضارى الابداعى الذى يتهددنا ، بالذات اذا أدركنا أنه ليس هناك ابداع حقيقى فى مختلف مجالات المعرفة دون المام بتراث الانسانية ، حتى لا نعاود اختراع « ما سبق اختراعه » ، وبعد ظهور ما يتخطاه ويحد كثيرا من قيمته النسبية . وليس هناك ابداع حقيقى دون أن نكتسب المهارات والقدرات التى تمكن من العمل الصحيح المثابر ، والوجود فى حالة من اللياقة الابداعية .

نعم ان الثقيف الذاتى والدأب الذاتى بين العواىل الحاسمة فى تحصيل الدربة الابداعية وتراث الانسانية معا ، الا أن ذلك يكاد يكون مستحيلا ان لم تتوفر مناهل التراث

الانسانى : الى جوار امكانات معقولة للتعليم والثقافة العامة  
الراقين .

وهكذا يبقى الشق الثانى من السؤال : وهل من طريق  
لتجاوز الجيتو ، حتى يكون هناك مجال للابداع ، وحتى  
لا ينتهى مآل الابداع العربى الى الصفر ؟

وطبعاً نحن نبحث عن حلول واقعية ، ليست من قبيل  
المسل على اشاعة استخدام الكمبيوتر والأقراص الضوئية  
اباها والاتصال بالشبكات العالمية ، حلول تعتمد على امكانات  
متيسرة فى هذه اللحظة لأوسع فئات المجتمع ، ولا تحتاج الا الى  
القرار والموائمة . ودعنا نعبّر الى ما نراه حلاً عن طريق سؤال :  
هل يمكن أن يكون للتلفاز دور فى الأمر ؟

وليفغفر لى القارىء هنا بعض التكرار ، فالسؤال يلخص  
الوسيلة الأولى التى ترى دراستنا أن بمقدورها ضرب الجيتو  
الحضارى الذى يمسك بخناقنا ، مما يجعل الصفحات القادمة  
بمناسبة الخلاصة والتلخيص لأهم ما جاء فى هذا الكتاب ..

صحيح أن الناس تعودوا على تحذيرات الدارسين من  
تأثير التلفاز الضار عليهم وعلى أولادهم .. على وقتهم  
وابستعابهم ، بل وعلى صحتهم ، وصحة سعادتهم الأسرية ،  
ناهيك عن البساط الذى يسجبه من تحت أقدام ما يرقهم من  
أنشطة كالقراءة .

لكن هذه صورة مغلوطة تماما فليست كل برامج ومواد التلفاز كذلك ، ولأن التلفاز يمكن أن يكون ، على الجانب الآخر ، أعظم وسيلة للتأثير على جميع جوانب الحياة ، ولأن دوره ينمو باطراد . وقد أدركت تجمعات بشرية كثيرة ذلك فصارت توظف التلفاز في ترقية مشاهديه والأخذ بيدهم . وهذه عملية يسيرة فوق أنها سهلة .

وأغلب الجامعات التي تتداول الحديث عنها حاليا « دقة قديمة » ، بينما الجامعات الحديثة جامعات تلفازية تذيب « مناهجها » على الهواء وتوفر على الدارسين كثيرا ، لأنها تتيح لهم أرقى المضامين والوسائل التعليمية ، بأكثر الأدوات ابهارة ، وتجسده في هذه الوسائل والمضامين على مدار اليوم ، دون أن تكبد الطالب غناء الزحام في المواصلات والشوارع والمدرجات ، وعلى أهمية هذا الدور التعليمي للتلفاز فهو ليس كل ما يعنيننا هنا ، لأن برامج المدارس والجامعات لم تعد الوسيلة المثلى لاستيعاب التراث الانساني وتجاوزه ، ولأن ما يعنيننا الى جوار حفز الناس العاديين ( المتفرجين ) هو أن هذا التراث ، وفي مختلف المجالات الفكرية والفنية والتقنية ، صار مجسدا بأشكال درامية ومعرفية مبهرة على شاشات التلفاز .

وأى انسان يقظ متاح له متابعة محطة تلفاز ذكية لابد أن

تزلزله البرامج الكثيرة التي تقدم جماع المعارف البشرية .  
والجيد منها لا يقتصر على عرض هذه المعارف ، وانما يقدم  
منطق تتابع اكتشافات هذه المعارف ، مما يصيب المترج  
بالعدوى ، ويربى قدراته الابتكارية .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، لأن الأكثر أهمية هو  
تجاوز برامج التلفاز هذه الخطوة الأولى الضرورية لكل ابداع:  
الاستيعاب الجيد للتراث الانساني وللروح التي أنجز بها ،  
وسعيها الى أن يخذ بعض لعب وترفيه المترجين الوجهة  
نفسها ، اذ صارت هناك برامج جذابة تشجع وتدرب وتحث  
الناس على النظر بصورة انتقادية لما يشاهدونه عامة ومنه  
هذا التراث ، وتحفزهم على تجاوزه ناهيك عن الاستفادة منه .

ان الحل الذي نراه لتجاوز الجيتو المعرفي هو قناة تلفاز  
مجانبة متخصصة في « الثقيف والتعليم والحث على الابداع » ،  
تسخر معطيات المعرفة في تشكيل وعي الناس ، وتتيح لهم  
الفرصة لممارسة حياتهم اليومية باكبر قدر من الموضوعية  
والابداع ، وفي تناسب مع مسيرة العصر وانجازاته .

وهذا يتطلب منا وقفة مسهبة أمام ما يمكن أن تعطينا  
مثل هذه القناة ؟

### تعليم على أرقى مستوى :

ان كانت مصر قد آقرت بأن النهوض بمستوى التعليم صار مشكلة أمن قومى لابد وأن تحظى بأعلى قدر من الرعاية ، وان كانت مصر قد اختارت أن تكون السنوات القادمة هي أعوام تطوير التعليم بهدف مواجهة متطلبات العصر والمستقبل ، واعداد أجيال أكثر قدرة على تحديات الحياة ( فى المشروع القومى لتطوير التعليم ) • فان برامج هذه القناة لا بديل لها فى اتاحة أفضل فرص التعليم لكل المصريين ، وبطريقة تتجنب كل ما يعوق التعليم المصرى عن صناعة المبدع •

وكلنا يعرف كيف يتبارى الناس على الحاق أولادهم بالمدارس النموذجية وبفصول المتفوقين فيها على وجه التحديد ، ومثل هذه القناة لا تمكثنا من جعل مصر كلها فصلا للمتفوقين فقط ، ولا من القضاء على الدروس الخصوصية فقط ، وانما تساعدنا على اتاحة فرصة التعليم على أرقى مستوى للجميع ، وبالتالي اشاعة ديمقراطية حقيقية فى نظام التعليم ، بل وتتيح مرونة هائلة فى التطوير المستمر لبرامج التعليم ، وبما يمكن أن يتضمن حتى توفير خلاصة منجزات الأقراص الكمبيوترية اياها - للجميع - بصورة مركزية - هذا كما أن هذه القناة تساعدنا على ما يمكن أن نسميه التعليم العلاجى أو التكميلى للمتخصصين الذين تخرجوا بتعليم تجاوزوه واقع تطور المعارف

كثيرا ، وللمدرسين الذين تسابقهم المعرفة ، ذلك بالإضافة الى العمل على حث الابداع وحفزه ؟

ان مثل هذه القناة يمكننا من اعداد البرامج التعليمية كما في كل أنظمة التعليم الراقية بحيث يصل للتلميذ بشكل من الأشكال حس التطور المستمر في المعرفة والثورات الكبرى التي حدثت في اطار كل علم ، بل والمخاض الصعب الذي صاحب هذه الثورات ، والمعارضة الشرسة لها من قبل الجهات المتخصصة ، التي بدت طويلا وكأنها على حق .

كما أن هذه القناة يمكننا من تلافى العيوب التي تضرب نظام التعليم المصري في مقتل . وأحد هذه العيوب هو ما يفرضه هذا النظام من اكمال المرء تعليمه في نفس واحد ، العالي بعد الثانوي ، دون أدنى فرصة لاستئناف التعليم ، بعد فترة توقف لأي سبب كان ، الأمر الذي يؤدي الى تعلق الجميع بأهداب « قطار التعليم الطوالي » حتى دون أن تتواءم وجهته مع ميولهم الحقيقية . فناهيك عن معمة المجموع والتسقيق ، أين الفرصة لمن شغلته الشهادات والدروس الخصوصية ، ولم يصل للعشرين بعد ، في أن يكشف ميله الحقيقي ، وعلى مهل وبالتجربة ، وبصورة تجعله محبا مهموما بشئون وشجون التخصص الذي يريد أن يقضى حياته معه ويبدع فيه ؟

وفى كل الأنظمة التعليمية المتقدمة ليست هناك قيود على عودة من قطعوا رحلة تعليمهم ، بل أن فترة العمل تحسب لصالحهم عند القبول مجدداً في التعليم العالي ، لأنه ينظر لذلك في إطار النضج العام للفرد ، وتزيد فرص هؤلاء أن كانوا قد احتسبوا خلال تجربة عملهم بالمجالات التي يسعون لإكمال دراستهم فيها ، بل وتقدم لهم التسهيلات والاعفاءات ، من منطلق معرفتهم الواقعية لما هم مقدمين عليه .

مجلد القول أن الرغبة في مواصلة التعليم والترقى المعرفي رغبة مشروعة وضرورية في عصرنا ، وينبغي تليتها على أوسع نطاق مع الخروج من دائرة الهدر الجهنمية ، بالذات وقد قدم العصر حلولاً ناجعة لذلك ، تتمثل في « الجامعات التلفزيونية الحرة » التي تقبل أى راغب في الالتحاق بها ( بصرف النظر عن اعتبارات السن أو تاريخ الحصول على شهادة ما أو ... ) ، وهي توصل مقرراتها للطلاب في بيوتهم عن طريق الإذاعة المرئية والمسموعة أساساً ، ولا يؤم الطالب مركزها الرئيسى إلا فترة محدودة لا تتجاوز الشهر كل سنة ( خلال عطلة الجامعات العادية للاستفادة بامكاناتها ومدنها الجامعية ) لبعض التدريبات العملية وأداء الامتحان . وهي توفر خدماتها ( حتى نيل درجة الدكتوراه ) برسوم رمزية ، ذلك أن تكلفة التعليم فيها لا تتجاوز ٢٠٪ من مثيلاتها في الجامعات العادية ،

وتقل هذه التكلفة كلما زاد عدد الطلاب ، لأن الجزء الأكبر منها يذهب الى اعداد المقررات •

وجدير بالذكر ان الوقت الذى ينفقه طالب الجامعة الحرة فى الدرس والبحث يقل كثيرا عن الوقت الذى يقضيه طالب الجامعة العادية فى المواصلات ، وانها أرقى من الجامعة التقليدية، اذ يسهل نتيجة لمركزيتها أن تعكس على نحو أكبر أهم سمات التعليم الجامعى الابداعى ، مثل الميل الى البحث الذاتى والاعتماد على النفس . والارتباط بمشاكل الواقع ( الدارسون فيها يعملون فى مجالات مختلفة ) ، كما أن ظروفها : من اتساع القاعدة والمركزية ومرونة امكانيات التطوير تتيح فرصة تحديث المقررات باستمرار ، للالتزام بأرقى المستويات • ذلك مع توافر الرقابة الاجتماعية عليها ( تداع مقرراتها على الهواء ) • هذا كما تتيح المركزية الاستفادة من الأساتذة أصحاب القدرات المتميزة ورفع عبء الأعمال التكرارية عن الأساتذة عامة ، وكل ذلك يجعل العملية التعليمية فيها أرقى من وجهة النظر الابداعية •

هذا كما يمكن جعل القناة التليفزيونية الجديدة أداة ناجعة لاشاعة اللغة العربية واجادتها بوصفها أداة تنظيم الفكر لأن عدم اجادة استخدام هذه الأداة يعرقل كثيرا من قدر المرء على التعبير وبالتالي على التفكير • وهذه قضية بالغ



الأهمية رغم تأخير السياق لها الى هذا الموضع ، ولأن ما تتعرض له اللغة العربية يكاد يجرنا الى كارثة واسعة الأصداء . لكن ذلك لا يعنى عدم الاهتمام باجادة اللغات الأجنبية فقد صار من البلاء ، التى تنال كثيرا من المرء نفسه ، الاعتقاد فى امكان تجاهل متابعة النتاج المعرفى العالمى .

هذا كما أن الجامعة الحرة هى الحل الناجع لمشاكل من قبيل الربط بين الجامعة والمجتمع ، والاهتمام بالبحوث التطبيقية وقيامها بدور الخبرة لمؤسسات المجتمع ، فطلابها موجودون فى مختلف المجالات .

#### حث التفكير الابداعى :

ان الهدف من القناة التليفزيونية التى نطالب بها ليس اتاحة الفرصة لتعليم على أرقى مستوى واشاعة المعرفة العلمية والتراث الانسانى فقط ، لأن مواردها يمكن أن تكون حشا وترشيدا لمناهل معرفية أخرى مثل عملية القراءة ، وذلك عن طريق البرامج التى تتطرق بشكل أو بآخر للكتب . لكن لعل الأهم الذى يقود اليه ذلك كله هو عمل برامج هذه القناة عملا مباشرا على الحث الابداعى . والمسألة ليست غريبة علينا تماما فقد أطلعنا على أطراف من برامج حث الابداع الأجنبية فى برامج المسابقات والجوائز الشائعة فى تلفازنا . لكن كثيرا منها ابتسر حتى أفرغ تماما من أى قيمة تطويرية حقيقية .

وقد يتصور البعض أننا أخطأنا العنوان فهذه برامج  
منوعات فكاهية خفيفة •

وحت الأبداع والتفكير لأبد أن يكون مسألة « بأىخة  
ثقيلة الدم » يختص بها أفراد ثقلو ••• لكن الهدف الأول من  
حديثنا ليس الا مثل هذه البرامج الخفيفة الدم والحضور ،  
لأنها هى التى تناسب طبيعة الأبداع الحقيقية ، وليس أحوال  
متفرجينا فقط •

نعم لدينا فواة ينبغى تطويرها آخذين بعين الاعتبار أن  
بيت القصيد فى سعى الإنسان وتقدمه لم يعد تذكره للمعلومات  
المختلفة التى يجاب عنها بأدوات استفهام مثل من ( اكشف ،  
وفعل ، وقال : و ••• ) ومتى وأين ، وانما صار هذا التقدم  
يرتبط بما يجاب عليه بأدوات مثل لماذا ( اكشف ، فعل ،  
و ••• ) وكيف ، لأنها هى التى تحت على التفكير وتقود الى  
الأبداع • وقد بتنا نخلط كثيرا بين التذكر والتفكير ولأن كل  
برامجنا التعليمية والتلفازية ، وحتى البرامج التى تتخذ من  
التفكير عنوانا لها ، تدور معظم أسئلتها ، أن لم تكن كلها بعيدا  
عن التفكير وتقف عند حدود التذكر •

والتحلق والدوران حول أسئلة التذكر أمر عقيم ليس  
فقط لأنه يقود مع الفهلوة الى « فلسفة البرشام » و « قيم

البرشام » ، بل لأنه يحط ايضا ، في النهاية ، من قدر الانسان الذي وهبه الخالق نعمة من قدراته الخلاقة واستخلفه في الأرض . . يحط من قدره ويسخطة الى « آلة متذكّرة » متواضعة الامكانيات والقدرات ، اذا قارناها بالأدوات التي صنعها الانسان نفسه لتساعده على التذكر ، مثل القواميس والموسوعات وبنوك المعلومات وهذا ما دفع الجديرين حقا بصفة « من استخلفه الله في الأرض » لأن يعلموا أولادهم طرق تحرير أمخاضهم من تذكر المعلومات ، حتى تنفرغ للتفكير والخلق .

#### ديموقراطية مناهل المعرفة :

ان مثل هذه القناة هي الحل الأمثل لديمقراطية التعليم والتثقيف والمعرفة ، وتلبية رغبة الأعداد الكبيرة في الترقى والاستفادة من امكانيات العصر ، فوق دورها في التنشيط الفكري العام ، فبرامجها تذاع على الهواء ، ولأن كل ما سبق مما لا يمكن تركه لقانون أسعار السوق والعرض والطلب .

ان ديمقراطية التعليم ليست مجرد مسألة أخلاقية فكل المجتمعات الواعية لمستقبلها تعمل على إتاحة ذلك ، ويكفي في هذا الصدد الإشارة الى أن عملية اكتساب وتطوير المعرفة ، التي صنعت التجربة اليابانية ، تبدأ بالتعليم الإلزامي في المدارس التي تشرف عليها الدولة . وفي إطار تكافؤ الفرص يسقط

الحواجز الاجتماعية ، ويتيح امكانيات التقدم أمام الجميع ، مما يؤدي الى الاستفادة من أفضل العناصر البشرية دون تمييز ويستمر هذا التكافؤ في الفرص حتى المراحل الدراسية المتقدمة، فالمعاهد العليا مفتوحة هي الأخرى دون حواجز اجتماعية وذلك تطبيقاً لما يشيع في العلوم التربوية الحديثة من أن عدم تكافؤ الفرص بين كل أفراد المجتمع في هذا الصدد ليس الا إعادة لانتاج انظلم الاجتماعي والتخلف الحضارى .

ومن المهم أن نذكر في هذا الصدد أن القناة التليفزيونية الجديدة ستجعل المدرسة الراقية والجامعة الراقية تصل الى المناطق الريفية والمعزولة والنائية من البلاد ، بل والى التلاميذ ذوى الظروف الخاصة ( المرضى مثلاً ) .. كما أنها ستقلل من اعتماد نظم التعليم على الأداء المتواضع لكثير من المدرسين ، وتقضى على شكاوى في أعدادهم بفتح وكسر الألف على حد سواء .

وقد انتشرت الجامعات الحرة من هذا المنطلق في بلدان كثيرة من بريطانيا الى الصين الى اسرائيل كما دفع ذلك التوجه عددا من البلدان « النامية » الى توظيف استثمارات هائلة في مجال الاتصالات ، فعلى سبيل المثال تسعى الهند الى ربط مناطقها الريفية بشبكة اتصالات هائلة ، ادراكا منها للدفعه التي ستقدمها الشبكة الجديدة للتعليم والتقدم ، وتحلم نيودلهي بأن

تربط بين ٥٧٦ ألف قرية خلال ثلاث سنوات ، في إطار خطة تحديث تتجاوز كثيرا ما نطالب به ، وقف بالهند على مشارف طريق المعلومات السريع ، وتكرس لها حوالي ثمانية بلايين دولار .

### الامكانيات متيسرة :

بقيت اشارة الى أن الخيرات العالمية . بل والمحلية الخاصة بمواد مثل هذه القناة وفيرة ومتاحة ، كما أن مقتنياتها التقنية لا تفر علينا ، فالجامعة الحرة البريطانية مثلا ، تعتمد وهي أعرق الجامعات الحرة على ٥٠٠ ساعة من ارسال الاذاعة ومثلها من ارسال التلفزيون طوال العام الدراسي الواحد .

والمسألة ليست غريبة علينا تماما فلدينا نواة البرامج التعليمية ، ولدينا نواة الجامعة الحرة ، كما أننا قد اطلعنا على أطراف من برامج حث الابداع في برامج المسابقات والجوائز ويمكن أن تقوم على جميعها وتطويرها جميعا بحيث تؤدي الغرض الجديد الذي نضعه نصب أعيننا . . أى أنه لا ينقصنا في هذا الصدد الا تحديد الفلسفة والهدف والمنهج ثم العمل الواعي المثقن ، على نحو متواصل .

ان ذلك يجعلنا ننظر الى انشاء مثل هذه القناة كقضية أمن قومي من الدرجة الأولى ، يجب أن تحظى بالأولوية الفورية

المطلقة ، ولأنه سيكون علينا وعلى أطفالنا في نهاية المطاف مواجهة معضلة العيش مع أجيال من المؤهلين بالتقنيات الحديثه ، والدين يتعاملون معنا مستندين الى خدماها ، ولأن القضية نن تكون قضية اختيار فيما يخص الكيانات البشرية ، فهذه المستحدثات من نفس « نوع » الأسلحة الذيه التي حسمت حرب الخليج حتى قبل أن تبدأ ، ومن نوع محطات الأقمار الصناعية التي تحط علينا في بيوتنا أردنا أم لم نرد ، انا ضمن العالم على أبواب عصر جديد تقوم ثقافته على اسس كوية وهموم انسانية مشتركة والصراعات الحضارية المعاصرة تلعب فتوحات التقنية المتقدمة دورا هاما في تقرير نتائجها النهائية . تبقى مجموعة من النقاط التي يصعب تجاوزها هنا وان كنت سأمر عليها سريعا لاعتبارات المساحة .

لقد حرصت على الاستهلال بالحديث عن القنون الجميلة للتأكيد على أن الدعوة للقناة الجديدة ليست دعوة الى تربية دراويش تكنولوجيا أو تبسيط علوم ، لأن الهدف هو تربية بشر أسوياء ، بشر يتحلون بالتكامل المعرفي والرؤى الانسانية الشاملة الصحيحة ، والاهتمام بالثقافة العلية في هذا الاطار ليس بدلا عن الثقافة الانسانية وانما سعي للتكامل المعرفي ، فحكمة تجعلهم أعرف ما للأدب والفن من قوة علم تنمى القدرات الابداعية ، وكل النظم التعليمية الالاقية تجعلهم أعرف أن

يدرس كل الطلاب العلوم الانسانية والأدب والفن ، ولكن ليس كل ادب وفن فتيقير مما هو شائع لدينا فى هذا الباب مسجون فى قطعيات وفيليات وسلفيات ، تقتل كل فذرة له على الحث الابداعى .

ان هناك ألف سبب وسبب يقف وراء انتاج الابداعى لمجتمع من المجتمعات ، وألف عائق وعائق يقف فى طريق أن تؤدى هذه المؤسسة او تلك ، من المؤسسات المنوط بها حث الابداع واستيعابه ، أن تؤدى وظيفتها لكن أهم العقبات أن يشيع تصور أنها مؤسسات للصفوة لا تتصل بما يجرى فى المجتمع وفى عقول الناس حولها ، وفى عصر الاتصال صار موجودا ذلك الطريق الملوكنى ، الذى لا يمكن أن يقارن به دور بيت أو مدرسة أو جامعة للتأثير فى طريقة تفكير الناس ، وفى اعدادهم ليكونوا رافدا للطاقة الابداعية للمجتمع .

تبقى الاشارة الأخيرة وهى أن القضية فى هذه الدراسة ليست فقط كيف تساعد مثل هذه القناة على صنع المثقف المثقح القادر على رؤية ما لا يعتقد فيه ، وعلى الحوار والتطور واستيعاب ما يحيط به من حقائق ، وذلك بدلا من تعليم التلقين والحفظ والاملاء والترديد ، الذى يرسخ من صنع المتعصبين ذوى الأفق المحدود ، الذين يخاصمون روح التغير والابداع .





## المؤلف في سطور

محمد فتحى عبد الفتاح

١٩٤٤/٩/٢٧

- أنهى دراسته الثانوية متخصصا في علم الحياة .
- تخرج في كلية الهندسة جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٧ .
- ولم ينقطع من يومها عن الدرس الأكاديمي في مجالات الصحافة والنقد الفني والهندسة والعلوم والدراسات الإسلامية وعلم النفس والفلسفة واللغات .

### الجوائز الحائز عليها :

- \* جائزة القصة القصيرة لجامعة الاسكندرية عام ١٩٦٥ .
- \* جائز أكاديمية البحث العلمى لتبسيط العلوم عام ١٩٩٥ .
- \* الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة « أكتوبر ذاكرة متجددة » التي نظمتها القوات المسلحة المصرية عام ١٩٩٧ .
- \* جائزة أكاديمية البحث العلمى للثقافة العلمية عام ١٩٩٨ .

## النشر :

- بدأ النشر عام ١٩٦٥ ونشرت كتاباته في مجلات :  
روزاليوسف ، صباح الخير ، العربي ، الدوحة ، الكويت ،  
الهلال ، الشموخ ، الانسان والتطور ، المسرح ، ابداع .  
بالاضافة الى عدد من المجلات الاسبوعية والجرائد العربية .
- نشر ما يزيد على ( ٨٠٠ ) قصة قصيرة ، ودراسة  
صحفية تنتمي لباب الثقافة العلمية ، كما اذيعت بعض  
كتاباته .

- رئيس تحرير « انسان ٢٠٠٠ » .

## مؤلفه :

- \* خطاب مفتوح الى : ( دراسة ) ١٩٦٥ .
- \* يا اولاد حارتنا توت : ( حكاية ) ١٩٦٦ .
- \* ثقافتنا وخدمة الاكاديمية : ( حوارية عن الثقافة  
العلمية ) ١٩٨٤ .
- \* هل يحدد لك العلم ساعات السعد والنحس ؟ ( دراسات  
ثقافية علمية ) ١٩٨٤ .
- \* سينما العصر والانسان : ( دراسات سينمائية ) - كتاب  
الهلال - اكتوبر ١٩٩١ .
- \* انت عبقري ولكن !! : ( دراسات ثقافية علمية ) ١٩٩٣ .
- \* طفل بالتكنولوجيا حسب الطلب : ( دراسات ثقافية  
علمية ) ١٩٩٤ .

- \* أهم الاكتشافات والأحداث العلمية ( ١٩٩٥ م ) :  
( دراسات ثقافية علمية ) ١٩٩٦ .
- \* الكمبيوتر مفكرا وخبرا : ( دراسات ثقافية  
علمية ) ١٩٩٦ .
- \* أهم الاكتشافات والأحداث العلمية ( ١٩٩٦ م ) :  
( دراسات ثقافية علمية ) ١٩٩٧ .
- \* تكتوت في سفينة الفضاء : ( حكاية للأطفال ) ١٩٩٧ .
- \* مدينة ملاهى في الفضاء : ( حكاية للأطفال ) ١٩٩٧ .
- \* أسماك الفضاء العجيبة : ( حكاية للأطفال ) ١٩٩٧ .
- \* شكة في ابهامه - رائحة الحياة : ( مجموعة قصص  
قصيرة ) ١٩٩٧ .
- \* القلب البديل الخرافة والأسطورة ( دراسات ثقافية  
علمية ) ١٩٩٧ .
- \* أهم الاكتشافات والأحداث العلمية - ( ٣ )  
ج ١ - ١٩٩٨ .
- \* أهم الاكتشافات والأحداث العلمية - ( ٣ )  
ج ٢ - ١٩٩٨ .

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	سر النهوض والتقدم
	تعليم اليوم هو قضية وجودنا في القرن ٢١ ونقص
٢٣	موارد تطويره اكدوبة
	موسوعات المجهول العربية وكفاءة الدورة الدموية
٣٩	للمعرفة
٥١	من هنا نبدا ٠٠ الاستفادة من عقل الأمة
	السادس من اكتوبر والأوهام الشائعة حول الممارسة
٦٣	الابداعية
	التليفزيون والتفكير على الهواء ٠٠ أين الدوري
٧٥	العام لتحويل الفهلوة الى ابداع
	الظاهرة الادريسية الشفيقية الاينز القيمي وهدر
٨٩	النبيوغ
	الظاهرة الزويلية اليعقوبية المعروفية ٠٠ هل تربي
١٠٩	مصر علماء للدول المتقدمة ؟ !
١١٧	الوجود العربي المهتد وضرورة النهوض
١٥١	المؤلف في سطور

## صدر من هذه السلسلة :

- |   |                                   |
|---|-----------------------------------|
| ١ - الكومبيوتر                          | تأليف د. عبد اللطيف أبو السعود    |
| ٢ - النشرة الجوية                       | تأليف د. محمد جمال الدين الفنتى   |
| ٣ - القمامة                             | تأليف د. مختار الحلوجى            |
| ٤ - الطاقة الشمسية                      | تأليف د. ابراهيم صقر              |
| ٥ - العلم والتكنولوجيا                  | تأليف د. محمد كامل محمود          |
| ٦ - لعنة التلوث                         | تأليف م. سعد شعبان                |
| ٧ - العلاج بالنباتات الطبية             | تأليف د. جميلة واصل               |
| ٨ - الكيمياء والطاقة البديلة            | تأليف د. محمد نبهان مويلى         |
| ٩ - النهر                               | تأليف د. محمد فتحى عوض الله       |
| ١٠ - من الكمبيوتر الى<br>السوبر كمبيوتر | تأليف د. عبد اللطيف أبو السعود    |
| ١١ - قصة الفلك والتنجيم                 | تأليف د. محمد جمال الدين الفنتى   |
| ١٢ - تكنولوجيا الليزر                   | تأليف د. عصام الدين خليل حسن      |
| ١٣ - الهرمون                            | تأليف د. سينوت حليم دوس           |
| ١٤ - عودة مكوك الفضاء                   | تأليف م. سعد شعبان                |
| ١٥ - معالم الطريق                       | تأليف م. سعد الدين الحنفى ابراهيم |
| ١٦ - قصص من الخيال العلمى               | تأليف د. رؤوف وصفى                |
| ١٧ - برامج للكمبيوتر بلغة<br>البىزىك    | تأليف د. عبد اللطيف أبو السعود    |
| ١٨ - الرمال بيضاء وسوداء<br>وموسيقية    | تأليف د. محمد فتحى عوض الله       |
| ١٩ - القوارب للهواة                     | تأليف شفيق مثرى                   |
| ٢٠ - الثقافة العلمية للجماهير           | تأليف جرجس حلمى عازر              |
| ٢١ - اشعة الليزر والحياة<br>الماصرة     | تأليف د. محمد زكى عويس            |

٢٢ - القطاع الخاص وزيادة الإنتاج في المرحلة القادمة	تأليف د. سعد الدين الحنفى
٢٣ - المريخ الكوكب الأحمر	تأليف د. منير أحمد محمود حمدى
٢٤ - قصة الأوزون	تأليف د. زين العابدين متولى
٢٥ - قصص من الخيال العلمى ج ٢	تأليف وزوف وصمى
٢٦ - السيرة	تأليف م. ابراهيم على العيسوى
٢٧ - قصة الرياضة	تأليف على بركه
٢٨ - الملوثات العضوية	تأليف محمد كامل محمود
٢٩ - ألوان من الطاقة	تأليف عبد اللطيف أبو السعود
٣٠ - صور من الكون	تأليف زين العابدين متولى
٣١ - الحاسب الالىكترونى	تأليف محمد نيهان سويلم
٣٢ - النيل	تأليف محمد جمال الدين الفتنى
٣٣ - الحرب الكيماوية ج ١	تأليف دكتور أحمد مدحت اسلام د. عبد الفتاح محسن بدوى د. محمد عبد الرازق الزرقا
٣٤ - الحرب الكيماوية ج ٢	تأليف دكتور أحمد مدحت اسلام د. عبد الفتاح محسن بدوى د. محمد عبد الرازق الزرقا
٣٥ - البصر والبصيرة	تأليف طلعت حلمى عازر
٣٦ - السلامة فى تعامل الكيماويات	تأليف د. سمير وجب سليم
٣٧ - التلوث الهوائى والبيئة ج ١	د. طلعت الأعوج
٣٨ - التلوث الهوائى والبيئة ج ٢	د. طلعت الأعوج
٣٩ - التلوث المائى ج ١	د. طلعت الأعوج
٤٠ - التلوث المائى ج ٢	د. طلعت الأعوج

- ٤١ - نعيش لنأكل أم نأكل لنعيش  
د. محمد ممتاز الجندى
- ٤٢ - أنت والدواء ط ١  
صيدلى / أحمد محمد عوف  
١٩٩٤ ، ط ٢ ، ١٩٩٧
- ٤٣ - اطلالة على الكون  
د. زين العابدين متولي
- ٤٤ - من العطاء العلمي للإسلام  
د. محمد جمال الدين الفندى
- ٤٥ - مسائل بينية  
تأليف رجب سعد السيد
- ٤٦ - البث الإذاعي والتلفزيوني  
المباشر ج ١  
جلال عبد الفتاح
- ٤٧ - البث الإذاعي والتلفزيوني  
المباشر ج ٢  
جلال عبد الفتاح
- ٤٨ - صفحات مضيئة من تاريخ  
مصر ج ١  
تأليف محمود الجزار
- ٤٩ - صفحات مضيئة من تاريخ  
مصر ج ٢  
تأليف محمود الجزار
- ٥٠ - جيولوجيا المحاجر  
جيولوجي / نور الدين زكي محمد
- ٥١ - الاستشعار عن بعد ج ١  
د. سراج الدين محمد
- ٥٢ - الاستشعار عن بعد ج ٢  
د. سراج الدين محمد
- ٥٣ - الردع النووي الإسرائيلي  
د. ممدوح حامد عطية
- ٥٤ - البترول والحضارة  
د. توفيق محمد قاسم
- ٥٥ - حضارات أخرى في الكون  
جلال عبد الفتاح
- ٥٦ - ذلك إلى التفوق في  
النانوية  
سامية فخرى
- ٥٧ - التلوث مشكلة اليوم  
والغد  
د. توفيق محمد قاسم
- ٥٨ - انهيار الباني ط ١  
١٩٩٥ ، ط ٢ ، ١٩٩٧  
م. جرجس حلمي عازر
- ٥٩ - الوقت والتوقيت ج ١  
عبد السميع سالم الهواري
- ٦٠ - الوقت والتوقيت ج ٢  
عبد السميع سالم الهواري

- ٦١ - الجيولوجيا والكائنات الحية د. دولت عبد الرحيم
- ٦٢ - أسلحة الدمار الشامل د. جمال الدين محمد موسى ج ١
- ٦٣ - أسلحة الدمار الشامل د. جمال الدين محمد موسى ج ٢
- ٦٤ - النقل الجوي في مصر د. سراج الدين محمد ج ١
- ٦٥ - النقل الجوي في مصر د. سراج الدين محمد ج ٢
- ٦٦ - قراءة في مستقبل العالم تأليف : كلايف رايش
- ٦٧ - غدا القرن ٢١٠٠؟ ط ١، ١٩٩٥ ، ط ٢ ، ١٩٩٧
- ٦٨ - الشتاء النووي ج ١ د. جمال الدين محمد موسى
- ٦٩ - الشتاء النووي ج ٢ د. جمال الدين محمد موسى
- ٧٠ - تاريخ الفلك عند العرب د. محمد امام ابراهيم
- ٧١ - رحلة في الكون والحياة صيدلي/ أحمد محمد عوف ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ط ٢ ، ١٩٩٨
- ٧٢ - رحلة في الكون والحياة صيدلي/ أحمد محمد عوف ج ٢ ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ط ٢ ، ١٩٩٨
- ٧٣ - الصحة المهنية ج ١ د. سمير رجب سليم
- ٧٤ - الصحة المهنية ج ٢ د. سمير رجب سليم
- ٧٥ - عالم الحشيش ج ١ د. جمال الدين محمد موسى
- ٧٦ - عالم الحشيش ج ٢ د. جمال الدين محمد موسى
- ٧٧ - أهم الأحداث والاكتشافات العلمية لعام ١٩٩٥ م محمد فتحى
- ٧٨ - النقل الجوي وتلوث البيئة في مدينة القاهرة د. سراج الدين محمد ج ١



- ٧٩ - النقل الجوى وتلوث البيئة في مدينة القاهرة  
ج ٢ د. سراج الدين محمد
- ٨٠ - رحلات علمية معاصرة صيدلى/ أحمد محمد عوف
- ٨١ - الكمبيوتر خيرا ومفكرا محمد فتحى
- ٨٢ - انعماء ثائرون د. جمال الدين محمد موسى
- ٨٣ - الحرب النووية القادمة د. جمال الدين محمد موسى
- ٨٤ - العلم ومستقبل الانسان د. جمال الدين محمد موسى
- ٨٥ - الثورة الخضراء ٠٠ م. جرجس حلمى عازر  
امل مصر
- ٨٦ - عالم الافلاك د. امام ابراهيم احمد
- ٨٧ - صناع الحضارة العلمية د. أحمد محمد عوف
- ٨٨ - صناع الحضارة العلمية في الاسلام ج ١ د. أحمد محمد عوف
- ٨٩ - صناع الحضارة العلمية في الاسلام ج ٢ د. أحمد محمد عوف
- ٩٠ - عبقريّة الحضارة المصرية القديمة د. زين العابدين متولى
- ٩١ - الفلك عند العرب والسلمين ج ١ د. زين العابدين متولى
- ٩٢ - الفلك عند العرب والسلمين ج ٢ د. زين العابدين متولى
- ٩٣ - اهم الأحداث والاكتشافات العلمية لعام ١٩٩٦ محمد فتحى
- ٩٤ - اسرار علم الجينات م. طيب عبد الباسط الجمل
- ٩٥ - الانترنت د. عبد اللطيف ابو السعود
- ٩٥ - موسوعة الأعشاب الطبية صيدلى/ أحمد محمد عوف

٩٦ - البلاستيك وتأثيراته البيئية

د. أحمد مجدى حسين مطاوع والصحية

٩٧ - ( موسوعة أسئلة وأجوبة من

تقوى المعرفة - الجزء الأول )

ترجمة : هاشم أحمد محمد أسرار الأرض

٩٨ - القلب البديل ( الخرافة

والأسطورة ) محمد فتحى

٩٩ - ( موسوعة أسئلة وأجوبة من

تقوى المعرفة - الجزء الثانى )

ترجمة : هاشم أحمد محمد أسرار جسم الإنسان

١٠٠ - سيفونية العلم د. عفاف على ندا

١٠١ - سكان الكواكب د. أمام إبراهيم أحمد

١٠٢ - السمعة وعلاجها ج ١ د. فتحى سيد نصر

١٠٣ - السمعة وعلاجها ج ٢ د. فتحى سيد نصر

١٠٤ - التلوث البيئى والهندسة

الوراثية د. على محمد على عبد الله

١٠٥ - التلوث البيئى وسبل

مواجهته د. محمد نبهان مويلم

١٠٦ - ( موسوعة أسئلة وأجوبة من

تقوى المعرفة الجزء الثالث )

ترجمة هاشم أحمد محمد أسرار جسم الحيوان

١٠٧ - حكاية الاستنساخ م. عبد الباسط الجمل

١٠٨ - التلوث الكهرومغناطيسى م. عبد المقصود حجو

١٠٩ - تغير المناخ ومستقبل

الأرض د. محمد أحمد الشهاوى

- ١١٠ - الإنسان والطاقة ج ١  
 زكريا أحمد البرادعي  
 ١١١ - الإنسان والطاقة ج ٢  
 زكريا أحمد البرادعي  
 ١١٢ - أهم الأحداث والاكتشافات  
 العلمية ( ٣ ) ج ١  
 محمد فتحي  
 ١١٣ - أهم الأحداث والاكتشافات  
 العلمية ( ٣ ) ج ٢  
 محمد فتحي  
 ١١٤ - منظومة الحياة  
 صيدلي/ أحمد محمد عوف  
 ١١٥ - صيد البحر وطعامه  
 رجب سعد السيد  
 ١١٦ - مواقع النجوم ج ١  
 مهندس/سعد شعبان  
 ١١٧ - مواقع النجوم ج ٢  
 مهندس/ سعد شعبان  
 ١١٨ - موسوعة أسئلة وأجوبة من كنوز  
 المعرفة - الجزء الرابع ( عالم الفنون  
 ترجمة : هاشم أحمد محمد  
 ١١٩ - موسوعة أسئلة وأجوبة من كنوز  
 المعرفة - الجزء الخامس  
 مفامرات مدهشة  
 ترجمة : هاشم أحمد محمد  
 ١٢٠ - سر النهوض والتقدم  
 ( لماذا لا بيدع المصريون )  
 محمد فتحي



رقم الايداع ١٦٣٦٨/١٩٩٨

---

الترقيم الدولي 1 — 6012 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب  
قرع الصحافة



كان بين آخر ما خطه يُراع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين عجلة بعنوان «فزورة التاريخ»: وكانت فزورة بهاء: «منذ صارت القراءة أحد همومي، وأنا أسأل هذا السؤال: ما الذى يجعل شعباً ما ينهض ويتقدم؟ وما الذى يجعل شعباً ما يكون متقدماً وناهضاً يضمحل ويتقهقر؟».

ركان بين ما جاء فى عجلة بهاء الدين: «من حق الكاتب أن يطرق بآله سؤال ما ويحارى معه ولا يجد له رداً وتفسيراً: فيطرح هذا السؤال على القارئ حتى إذا كان لا يفعل إلا أنه مشاركته فى حيرته فهذا أمر مفيد، يشحذ الأفكار، وقد يخف لنجدته كاتب أو مفكراً آخر».

كنت مهموماً بسؤال الأستاذ بهاء، وكنت قد قضيت سنوات طوال فى البحث عن اجابة له، فحاولت أن أقدم هذه الاجابة فى عدد من المنابر الفكرية، الأمر الذى حظى بحماسة وتشجيع الاستاذ بهاء. وكانت الحصيلة هذا الكتاب عن «سر النهوض والتقدم» أو كيف تتاح الفرصة للمصريين حتى يبدعوا ..